رواية

أصابع الاتهام

بقلم

سمر سعيد

(الفصل الأول)

اتسم ذلك الحي الجديد بالهدوء؛ فعدد مَن يقطنه يساوي عدد أصابع اليدين الاثنتين أو أكثر قليلا، كما أنه يمتاز بالخصوصية، كل فيلا تبعد عن جارتها بضعة أمتار لتضيف لها المزيد من الخصوصية، أسوارها تحاوطها الأشجار العالية محتضنة بوابتها الشامخة، بدأ المطر في الهطول مما دفع ساكنيه التزام فيلاتهم والجلوس بجانب دفاياتهم؛ لتبث الدفء في أجسادهم، قرر ترك حراسة الفيلا التي يعمل بها ليجلس مع زميله بالفيلا المجاورة لمتابعة إعادة مباراة كرة القدم، فالساعة الآن تجاوزت منتصف الليل، ولن يحضر في هذا الوقت أي ضيف مؤكداً، كما أن السيدة سوزي حينما تحضر لهذه الفيلا تكون بحاجة للهدوء والخصوصية لتجهيز فيلم أو قراءة أوراق عمل جديد، أو رغبة منها في البعد عن الجميع، تأكد أن جميع الأبواب مغلقة، وأن النوافذ مؤمَّنة، والأضواء مغلقة، ثم غادر لينضم إلى صديقه، حمل عنه تلك الصينية التي تحمل أكواب الشاي، جلسا أمام التلفاز الصغير لمتابعة المباراة، مر الشوط الأول والثاني، بعدها سمعا صوت إطلاق عيار ناري جعلهما ينتفضان للبحث عن مصدره، هرول نحو الفيلا الخاصة بالفنانة سوزي سالم التي يقوم بحراستها ليجد باب الفيلا مفتوحا على مصراعيه، دلف مسرعا إلى الداخل وهو ينادي على صاحبة الفيلا،

لكنه تعثَّر ببعض الأثاث الذي كان ملقى أرضا، وكأن إعصارا أصاب الفيلا للتو، أسرع إلى الدور العلوي ليجدها غارقة في دمائها داخل غرفتها، التقط الهاتف وهتف عبره في توتر:

- قسم الشرطة، توجد جريمة قتل، وأريد الإبلاغ عنها.

أتاه صوت من الجهة المقابلة يسأله عن العنوان، أملى عليه العنوان

- سوف نحضر فورا، لا تدع أحدا يقترب من الجثة أو أية أغراض هناك لحين وصولنا.

خرجت قوة من القسم والتي كانت تتكون من معاون المباحث، واثنين من أمناء الشرطة، واثنين من العساكر.. حينما وصلت القوة وجدت أمام الفيلا رجلين أحدهما في أواخر الأربعينات والآخر في أواخر الثلاثينات يرتديا زياً مشابهاً، كان عبارة عن سروال من اللون الكحلي، وقميص من اللون اللبني، وفوقهم جاكت ثقيل بنفس لون السروال، سألهما ضابط المباحث:

- مَنْ الذي أبلغ عن الحادث؟

أجابه الرجل الصغير:

- أنا مَن قمت بالإبلاغ.
- مَن أنت؟

- حارس الفيلا.
- أين كنت وقت وقوع الجريمة؟
- كنت مع متولي في الفيلا المجاورة.
- ولمَ تركت حراسة الفيلا؟
- بعدما نامت المدام تأكدت من غلق الأبواب جيدا، ثم ذهبت لقضاء بعض الوقت مع متولي؛ فالجو ممطر؛ والمدام تعلم ذلك؛ ولم تعترض يومًا.
- متى اكتشفت وقوع الحادثة؟
- بعد انتهاء إعادة المباراة، سمعت صوت إطلاق عيار ناري حينها هرولت نحو الفيلا، وجدت الباب مفتوحا والمدام غارقة في دمائها.

أثناء حديثه مع الحارس حضر فريق المعمل الجنائي لمعاينة مسرح الجريمة، أمر ضابط المباحث مَن معه بالتحفظ على الحارس وصديقه، وعدم السماح لأي شخص بالدخول إلى الفيلا.

تركهم بالخارج لحراسة الفيلا، ثم دلف للداخل مع فريق البحث الجنائي، أول ما لفت نظره عدم وجود أية خدوش أو آثار لاقتحام الفيلا مما يدل على أن الجاني يحمل مفاتيح الفيلا أو أن القتيلة تعرف الجاني؛ لذا فتحت له الباب دون أدنى مقاومة، طلب من فريق البحث رفع البصمات الموجودة داخل الفيلا كلها، وصعدوا إلى الأعلى حيث غرفة

القتيلة وجد محمد غرفتين على يمين الدرج إحداهما تحتوي على ملابسها فقط والأحذية وما يخص تأنقها، غرفة مجاورة بها سرير متوسط الحجم يتوسط الغرفة على يمينه خزانة ملابس ممتلئة بالملابس النسائية لكنها تخص أعمارا أصغر من عمر سوزي بها حمام، على الحائط توجد صورة لفتاتين تقفان بجوار القتيلة، طلب محمد من أحد رجاله معرفة هوية الفتاتين الموجودتين في الصورة؟ وما علاقتهما بالقتيلة؟

أمام الدرج توجد طاولة ملقاه على جانبها وبجوارها مزهرية محطمة، على يمين الدرج توجد غرفة القتيلة، تتكون الغرفة من قسمين، القسم الأول يوجد به كرسي هزاز وطاولة بجوار المدفئة عليها بعض المجلات الفنية، بينما الجزء الثاني به فراش كبير على جانبيه يوجد كومود وعلى يمينه توجد خزانة ملابس تحمل بين جنباتها العديد من القمصان الحريرية، وخزينة شخصية فارغة، بينما جثة سوزي طريحة الأرض، عيناها يسكنهما الفزع، توجد بعد الآثار على عنقها المرمري، ترتدي مئذر من الحرير الأسود كشف عن جمال جسدها، بجانب ساقها البضة توجد قطعة من الحلي الخاص بها.. جَمع فريق البحث الجنائي البصمات الموجودة بالفيلا، ألقى وكيل النيابة نظرة على مسرح

الجريمة، ثم أمر بتشريح الجثة، وصلت سيارة الإسعاف لتحمل الجثة إلى المشرحة؛ ليتم تشريحها وكتابة التقرير وسبب الوفاة، طلب من أحد العساكر الموجودين معه حراسة الفيلا بعدما قام بتشميعها بالشمع الأحمر، ثم اتجه إلى القسم ومعه باقي فريقه والحارسان، ألقى بجسده المتعب على الأريكة التي توجد داخل مكتبه بينما جلس الحارسان بالخارج حتى يحين موعد التحقيق معهما

- ما هذه الورطة التي وقعنا بها؟

قالها متولي لصديقه، وهو يضع كفيه فوق رأسه، وضع صديقه يده على كتفه ليواسيه مرددا:

- الخوف من الشركة أن تتهمنا بالإهمال وتستغني عنا.
- يا ويلتنا، إنها الطامة الكبرى.

سقطت دموعه قهرا على حالهما وما سيواجهان، استيقظ محمد على صوت ضجة تأتي من الخارج، عبث وجهه من هذا الضجيج، دلك رقبته التي تعاني من التشنجات بسبب تلك الأريكة اللعينة، ضغط على زر بجانب مكتبه ليحضر على الفور العسكري الموجود بالخارج مؤديا التحية العسكرية

- ما كل هذا الضجيج؟

- يوجد بالخارج العديد من الصحفيين يريدون تغطية حادثة الأمس.

ضرب محمد مكتبه بعنف قائلاً:

- اللعنة عليهم، مَنْ سرب هذا الخبر، لم يمض على هذه الجريمة سوى بضع ساعات؟

لم يجد إجابة تريح عقله، نظر إلى العسكري الواقف أمامه في انتظار أوامره:

- أريد فنجان قهوة بعدها أحضر الحارس الخاص بالفيلا.
- تحت أمرك.

ألقى تحيته العسكرية، ثم غادر لتنفيذ ما طُلب منه، دلف محمد إلى دورة المياه التابعة لمكتبه؛ ليغسل وجهه، ويستعيد نشاطه استعداداً للقادم، ورده اتصال على هاتف المكتب الأرضي من رئيسه:

- أريد الانتهاء من هذا التحقيق ومعرفة الجاني في أقرب وقت، أين آسر؟
- آسر في إجازة.
- اتصل به، اجعله يقطع الاجازة ويعود فورا لمتابعة هذه القضية.
- تحت أمرك سيدي.

انهى محمد المكالمة، ثم اتصل بآسر، لكنه وجد هاتفه مغلقا، اتصل على هاتف زوجته ليجده مغلقا أيضًا، دلف العسكري إلى المكتب وبين يديه صينية القهوة المطلوبة وضعها على المكتب، ثم غادر لإحضار الحارس.

بأقدام مرتجفة ولج إلى الداخل:

- أنا لم أفعل شيئا، صدقني سيدي.

قالها الحارس قبل أن يسأله محمد:

- منذ متى تعمل حارسا لهذه الفيلا؟
- سنة ونصف.
- مَن يعمل بالفيلا معك؟
- نرجس فقط، هي مساعدة مدام سوزي والمسؤولة عن كل ما يخصها.
- هل توجد عداوة بين القتيلة وأي شخص آخر؟
- لا، هي طيبة وتحب مساعدة الكل.
- هل زارها أحد يوم الحادث؟
- لا.
- هل تترك حراسة الفيلا وتذهب إلى متولي كثيرا؟

- حينما تكون الأجواء هادئة، المدام لم تعترض على ذلك يوماً.
- طوال مدة عملك بحراسة الفيلا، مَن يزورها باستمرار؟

سكت قليلا وكأنه يستعيد كافة الأوجه التي تمر أمامه كل يوم:

- يوجد فتاتان كانتا تداوم الزيارة، وكانتا تحضران الحفلات التي تقام في الفيلا.
- مَن هما؟
- لا أعرف، عملي بالخارج فقط لكن نرجس تعرفهما
- هل حدث شجار بين القتيلة وأي شخص قبل ذلك؟
- يوجد شخص حضر إلى الفيلا منذ شهر تقريبا، وطلب مقابلة المدام، وعندما سألته عن اسمه أخبرني أنه شقيقها.
- وماذا حدث بعد ذلك؟
- بعد دقائق من دخوله الفيلا حدث شجارٌ بينه وبين المدام وكان يتوعدها، ثم ألقى بعض المال بوجهها وغادر.
- هل زارها بعد هذه المرة؟
- لا.
- هل تأخذ إجازات؟
- فقط يومان كل أسبوعين؛ أسافر للاطمئنان على والديَّ، ثم أعود.
- ومَن يحرس الفيلا في هذين اليومين؟

- لا أحد، توجد كاميرات، والمدام خلال هذين اليومين تكون مسافرة أو خارج الفيلا.
- ما عنوان نرجس؟

أملاه العنوان ورقم الهاتف المسجل على هاتفه

- غادر الآن، ولكن لا تسافر إلا بعلمي.
- حاضر.

خرج من المكتب، ثم دلف الحارس الآخر، لم تختلف أقوالهما كثيرا؛ فمتولي أيضاً أكد أن القتيلة كانت حسنة المعاملة مع جيرانها ومع العاملين؛ فمَن كان يطلب منهم أن يسلم عليها أو يتصور معها كانت تقبل ولا تتكبر، غادر الحارسان بعدما أخبرهما محمد بعدم السفر خارج البلاد ولا المحافظة إلا بعلمه، نظر إلى فؤاد الذي يجلس على الكرسي المقابل له:

- تابع أحداث القضية وتقرير الطبيب الشرعي لحين عودتي.
- إلى أين أنت ذاهب؟
- سوف أذهب لأحضر آسر كما طلب مني اللواء محسن.
- حسناً.

جمع أغراضه وخرج لإحضار صديقه؛ فهو يعلم أين يختفي حينما يحصل على إجازة.

*****

أمام أحد شواطئ البحر الأحمر الرائعة جلس آسر بسروال من اللون الزهري يعتليه قميص صيفي من اللون الأبيض يظهر عضلات جسده الرياضي يتأمل تمايل الأمواج وتلاقيها مع الرمال البيضاء كما تتلاقى أيدي العشاق في خلسة من الزمان.. كانت الشمس تعكس لون عيونه البندقية الساحرة وشعره الفحمي يتطاير كلما داعبته نسمات البحر، تقدمت نحوه بثوب من الشيفون لونه وردي مزركش بالورود، عيونها كعيون المها تحمل البحر بهما، شعرها سلاسل من الحرير الذهبي، شفتاها كحبات الكرز، بطنها منتفخة قليلاً، قصيرة القامة نسبياً:

- اشتقت إليك كثيراً؛ طالت غيبتك هذه المرة.

أغمض عينيه وهو يجيب:

- سامحيني يا حبيبتي؛ فظروف العمل شاقة، الإجازات تعتبر محرمة على أمثالي من رجال الشرطة، قضايا القتل التي توكل لي تحرمني قربك، لكن لا تقلقي لقد حصلت على إجازة لمدة شهر

سوف نقضيها هنا بعيداً عن العمل وضغوطه، لن يحرمني أحد قربك، فأنا لكِ وحدكِ طوال هذه الإجازة.

- كيف حال صغيرنا؟ ألا زال يؤلمكِ بضرباته الصغيرة؟

شعر بيدها الصغيرة تفترش كتفه، فمال برأسه لينعم بملمسها الناعم.

- لا يكف عن الضرب.. أعتقد أنه سوف يصبح لاعب كرة قدم ماهر.

ابتسم آسر وهو يتوسد الرمال جوارها:

- أرجو الله أن يشبهكِ، فأنت هبة الله لي، أنتِ لون حياتي وشراع سفينتي، بدونكِ أنا حرف تائه لا إعراب لي، متى يحين لقائي به فقد اشتقت إليه؟ إنه نتاج قصة حبنا وثمرت شجرة عائلتي؛ فهو حامل الراية من بعدي، أتمنى أن يصبح ضابطا ماهرا مثلي؛ ليحقق العدالة وينصر المظلومين.
- وَمَن قال لك أنه سيصبح ضابطاً، ابني سوف يصبح طبيبا ماهرا مثلي يداوي القلوب، يعالج الفقراء، فأنا أخشى عليه مخاطر وظيفتك.

ضحك وهو يحتضنها: الآن لا تحبين وظيفتي وتخشين على طفلنا مخاطر الالتحاق بها؟! أشعر الآن أن عرشي بقلبك تخلخل قبل وصول

ولي العهد، بدأت أشعر بالغيرة منه قبل وصوله، ألم تكن هذه الوظيفة سبب حبك وارتباطك بي؟ ألم تكن تلك الرصاصة التي اخترقت صدري وقمتِ بإخراجها بكل مهارة هي سبب لقائنا، لولا هذا الوظيفة ما كنت تعرفت عليكِ يا ملاكي.

ضحكت لغيرته من جنينها

- لن يستطيع أحد أن يحتل عرش قلبي سواك، حبي لصغيرنا جزء من حبي لك، فأنا أحببتك منذ وقعت عيناي بعينك، دمائي تجري بعروقك، فأنا بداخلك مهما حدث وأنت نفسي وكل حياتي.
- بارك الله لنا فيه، وجعله خلفًا صالحًا ورزقنا بره وطيبة قلبه.
- آمين يا رب العالمين.

تقدم نحوهما محمد بجسده الضئيل نسبياً، كان يرتدي نظارة شمسية، وسروالا من الجينز الأسود، وقميصا باللون الموف يعلوهما جاكت أسود، مجعد الشعر، حنطي البشرة، وهتف به في ضيق:

- آسر.. لمَ لا ترد على الهاتف؟ متى ستكف عن أفعالك هذه واختفاءك وإغلاق هاتفك؟ لقد دبَّ الخوف في قلبي ونهش التفكير عقلي خشيت أن يكون أصابك مكروه، أو هاجم المخاض ريم وأنتما بمفردكما.

التفت إليه ليبادله الحديث وهو يبتسم:

- نحن بخير لا تقلق، كيف حالك محمد؟
- كيف يكون حالي وأنا وحدي، والعمل كله يُرمى على أكتافي وأنت هنا تتمتع بالبحر والوجه الحسن.
- لقد حصلت على إجازتي؛ لأعتني بريم بعدما أنهيت قضية اغتيال الوزير السابق؛ فأنا لم أحصل على إجازة منذ ما يقرب من ستة أشهر.

ربتت ريم على يده لتخبره:

- أنت ضابط كفء لذا يؤول لك كافة القضايا الهامة، مؤكد قدوم محمد اليوم له علاقة بقضية جديدة؛ سوف أعد العشاء لضيفنا اليوم، أترككما تتحدثان معاً.

غادرتهما ريم بعدما ساعدها زوجها في النهوض ونفض الرمال عن فستانها، ثم عاد لرفيقه.

حاول محمد إخباره عن سبب قدومه إلا أنه مدد جسده على الرمال ليستمتع بالهواء العليل، صوت الأمواج وهي تداعب بعضها البعض.

- سوف نتحدث على العشاء، الآن استرخ فقط؛ فالطريق شاق ولابد أنك مجهد من القيادة كل هذه الساعات، انظر للبحر وروعته، هل

تعلم أنني كلما استعصى علىَّ أمر أو قضية ما كنت أجلس هنا لأصفي ذهني؛ حتى أستطيع الوصول للحل المناسب.

- أنت ماهر يا آسر، والكل يشهد لك بهذا.
- أعلم هذا جيداً، ما الجديد!
- يا لك من مغرور! تعلم مدى براعتك وتفتخر بها أمام الجميع برغم صغر سنك إلا أنك استطعت الترقي سريعًا وذاع صيتك بكافة المديريات.
- سوف أخبرك سرًا، عند عودتي من الإجازة سوف أتقدم بطلب نقل لأي إدارة أخرى، فأنا أريد أن أنعم بالبقاء بين ريم وطفلنا في هدوء.
- هل تعلم ريم هذا القرار؟
- لم أخبرها بعد أوشكت الشمس على المغيب، هيا بنا لنستمتع بالعشاء مع ملكة قلبي، فقد اشتقت إلى قربها، أشعر كأنني طفل فقد والديه في زحام الطريق عندما تغيب عني.

ابتسم محمد، ونفض الرمال عن ملابسه، ثم توجها إلى الشاليه لتناول وجبة العشاء.

أعدت ريم طاولة العشاء بكل ما لذ وطاب من أصناف شهية من المعكرونة، الدجاج المشوي، سلطة الطحينة، الأرز، الخضار المبخر، اللحم المشوي و العصائر الطازجة.

كانت رائحة الطعام شهية للغاية، اقترب آسر منها ليلثم وجنتها و يدها.

- سلمت يدكِ حبيبتي، أرهقتِ نفسكِ كثيراً اليوم
- محمد ضيفنا ولابد من الترحاب به جيداً.

تقدم محمد باتجاههما وهو يتغزل في رائحة الطعام الرائع

- الطعام يبدوا شهياً ورائعاً سلمت يدك ريم، كم أتمنى أن أجد زوجة ماهرة مثلك، تهتم بشأني، وترعى حالي، هنيئاً لك آسر بهذه الزوجة الرائعة.

نظرت له ريم بود.

- قريباً سوف يمنحك الله هذه الزوجة الصالحة، فأنتَ طيب القلب.
- أرجو ذلك من كل قلبي، حتى يرحمنا من هذا الحسد البين.

ضحكت ريم من تعليق آسر، ثم لكزته في كتفه حتى يكف؛ فقد خجل محمد من تعليقه.

تشارك ثلاثتهم الطاولة، وهم يتبادلون أطراف الحديث، لتبدأ ريم الحديث:

- أخبرني مَن الضحية هذه المرة؟

نظر لها آسر، وهتف محمد بإعجاب:

- يبهرني ذكاؤكِ وفطنتكِ كلَّ مرة يا زوجة أخي، هنيئاً لك بها آسر، هل تعرفين الفنانة الشهيرة سوزي سالم؟
- مصر والوطن العربي كله يعرفها، أيضاً قابلتها في عدة حفلات؛ فهي صديقة رفيقتي هنادي.
- أنت تعرفها يا آسر؛ فهي حضرت حفل زفافنا.
- اعذريني حبيبتي، لا أتذكرها جيداً.
- انتظر سوف أحضر صورتي معهما.

دلفت للغرفة لإحضار الصورة المنشودة من صندوق مجوهراتها، خرجت وهي تحمل بيدها صورة تجمعها مع سيدتين، إحداهما ترتدي فستانا ذهبي اللون مُرصَّع بالأحجار، شعرها أحمر غجري، ضحكتها خلابة تأسر القلوب، عيناها كالليل الحالك، قوامها بض كانت هذه السيدة هنادي، بينما السيدة الأخرى ترتدي فستان باللون الأحمر القرمزي،

شعرها أسود لامع، عيناها كحبات القهوة، قوامها ممشوق كانت هذه السيدة سوزي.

لُقطت لهم هذه الصورة في إحدى الحفلات الخيرية التي أقامتها السيدة سعاد غالي.

التقط آسر الصورة من يدها، وبجانبه محمد يتمعن بوجه هنادي وجمالها الأخَّاذ، ليبادرها بالسؤال: هل هنادي صديقتكِ يا ريم؟

- نعم, هي صديقتي، ورفيقتي منذ كنا في المرحلة الثانوية.
- وهل صديقتكِ مرتبطة؟!

ضحكت ريم وآسر من سؤال محمد، ليسأله آسر: وما سبب السؤال؟

- سوف أتقدم لخطبتها.
- هل جننت؟ لقد شاهدتها للتو، كيف تتقدم لخطبتها؟ فأنت لا تعرف عنها سوى اسمها الأول فقط.
- بما أنها صديقة ريم إذا هي تملك نفس أخلاقها.
- محمد حبيبي الزواج لا يأتي هكذا أبداً.
- لكن ما دخل سوزي بالقضية؟
- للأسف سوزي هي الضحية.

عندما سمعت ريم الخبر اختل توازنها، وكادت تسقط أرضاً، إلا أن آسر حماها من السقوط، ليجلسها على أقرب كرسي، رغرغت عيناها بالدموع حزناً على وفاة سوزي.

- كيف حدث هذا؟ مَن الفاعل؟ ما الجرم الصادر منها لتلاقي حتفها مقابله؟

حاول آسر تهدئتها؛ خوفاً على صحتها وصحة الجنين، وراح يردد بقلق: اهدئي حبيبتي إنها إرادة الله.

- يَجِب أن تلقي القبض على الجاني من أجلي.
- لا تقلقي حبيبتي، محمد سوف يقبض على الجاني من أجلك.

اندهشت وعَلَا حاجبها من جواب آسر!

- ماذا تعني بحديثك؟ هل ستترك الجاني يهرب بفعلته بلا عقاب؟
- آسر قرر تقديم طلب نقل لإدارة أخرى فور انتهاء الإجازة؛ حتى يستطيع أن يصبح دائماً بجوارك.

قالها محمد، وهو ينظر نحوهما، في حين هتفت ريم بدهشة واستنكار: هل هذا صحيح يا آسر؟ مَنْ طلب منك هذا؟ هل تظن أنني طفلة لا تقوى على حماية ورعاية طفلها؟ أنا أرفض هذا القرار.

غادرت الغرفة، وتركتهما وهي تتحدث بكلمات غير مفهومة؛ نظر محمد لآسر ليسأله عن قراره، ألا أنه أشاح بنظره بعيداً متجاهلاً نظراته.

- تأخر الوقت، الساعة تجاوزت الواحدة صباحاً، اخلد للنوم الآن، وغداً سوف أخبرك بقراري، أرجو لك أحلاما سعيدة، تصبح بخير.

ظل آسر يفكر إلى أن اهتدى لقرار، قرر أن يبلغه لهما في الصباح الباكر.

الفصل الثاني

في الصباح الباكر جلس ثلاثتهم لتناول وجبة الفطور، أعدت ريم الطاولة بوجه عابس، داعب آسر أرنبة أنفها، وهتف مازحا: العبس لا يليق بكِ، فهذا الوجه الملائكي خُلق للابتسام فقط.

حاولت الاعتراض ومناقشته إلا أنه همس بأذنها بكلمات جعلتها تحتضنه بشدة، ثم توجهت إلى غرفتها، وعادت تحمل معها صندوقا خاصا بها.

جلست متكئة على الأريكة، وقامت بتفريغ محتويات الصندوق الذي يحتوي على العديد من الصور الخاصة بها، ومنها صور جمعتها مع الفنانة سوزي سالم.. نظر محمد لآسر بغير فهمٍ فأومأ له أن انتظر قليلا، لتبدأ ريم بقص ما تعرفه عن سوزي:

- هذه الصورة جمعتني معها في حفل أقيم منذ عامين بإحدى الحفلات الخيرية قبل زواجنا، كانت يومها محط أنظار الجميع دخلت متأبطة ذراع زوجها رجل الأعمال الشهير فايز الألفي في زهو وتفاخر كطاووس فرح بألوان ريشه، فجال بين الحضور يتفاخر بها، وبجمالها الأخَّاذ، كانت تعلم مدى غيرته، وبالرغم من ذلك تجاهلت جميع نظراته المحذرة، ظلت ترقص مع كل من طلب يدها للرقص من الحضور، التقطت الصور التذكارية مع الجميع؛ كانت عيونه تطلق شزراً نحوها، لكنها كانت سيدة قوية، كانت ضحكاتها المجلجلة تجعله يستشيط غضباً، لدرجة أنه تقدم نحوها، وقام بجذبها من ذراعها، ونهرها على أفعالها، ثم صفعها، وغادر الحفل، ولم يهز كل ما حدث ثقتها، بل أكملت حفلها بدون أي اعتبار لغضبه أو مغادرته، استمر الحفل إلى الساعة الرابعة فجرًا وقتها قامت هنادي بإيصالها فقد تركتهم وغادرت في تمام الساعة الحادية عشر، في اليوم التالي أخبرتني هنادي أنها قامت بإيصالها لتجد فايز يجلس في انتظارها، وعلامات الغضب ترتسم على ملامحه.

حمل آسر الصورة ليتمعن بملامح فايز، فبرغم كبر سنه إلا أنه يمتلك جسدا رياضيا كشاب في العشرين من عمره، سأله محمد:

- كيف يحتفظ بشبابه هكذا فلا أثر للزمن على ملامحه؟
- إنه سحر المال يا صديقي.

قالها آسر، وهو يطلب من زوجته إكمال ما تعرفه عن سوزي، فاستطردت متابعة حديثها:

- بعد هذه الحفلة استمرت الخلافات بينها وبين فايز؛ فهي لطالما كرهت القيود وما فعله كان أمرا محظورا بالنسبة لها، فقد تطاول عليها بالضرب وقام بإهانتها في أكثر من حفلة حتى قامت بطلب الطلاق والانفصال عنه.

تمعن آسر بالصورة، وهو يسأل نفسه: ما قصتك يا فايز؟ ولمَ تزوجتها برغم أن فارق العمر بينكما كبير؟

غادوا معا إلى القاهرة، أثناء الطريق أخبره محمد بكل التفاصيل التي عرفها عن الحادثة، استمع له آسر بانتباه، وكأنه يسجل كل معلومة ويقوم بتحليلها، اتصل بوالدة زوجته ليطلب منها مرافقة ريم والمكوث معها لحين عودته، ردت ريم:

- لمَ كل هذا القلق؟ أنا بخير، وأستطيع العناية بحالي وبطفلي جيدا.
- أعلم ذلك، ولكن دعيها تأتي لكِ ليطمئن قلبي، وأتابع عملي ببالٍ صافٍ.

ردَّ محمد: آسر معه حق؛ فلابد من وجود أي شخص بجانبك، من رأيي اطلبي من هنادي مرافقك، وأنا سوف أعمل على مرافقتك معها، وآسر يتولى القضية؛ فهو كفء ويستطيع حلها وحده.

ضحكا على تعلق محمد بهنادي الذي لا يعرف عنها شيئا سوى صورتها واسمها الأول فقط ،وكل هذا من ساعة واحدة فقط.. بدا على ملامح محمد الغضب بسبب ضحكاتهما، لكزت ريم آسر حتى يصمت، فكتم ضحكاته بصعوبة لدرجة أن وجهه اختنق وتحول كالبندورة، سعل على إثرها عدة مرات، ظل وجه محمد عابسا طوال الطريق، بعدما فشلت كافة محاولات ريم لجعله يبتسم، بعد عدة ساعات وصلوا إلى منزل آسر، تركتهم ريم وصعدت بينما اتجها معا إلى قسم الشرطة لمتابعة القضية..

قرأ آسر أقوال الحارسين، وجه كلماته إلى محمد، بينما يتابع قراءة المتبقي من المحضر:

- أريد نرجس وشقيق القتيلة، اطلب من المعمل الجنائي تسريع إخراج التقرير.
- تمام.

خرج محمد ومعه قوة لإحضار شقيق سوزي، بينما فؤاد خرج لإحضار نرجس كما طلب آسر..

داخل أحد الأحياء الشعبية وقف محمد يتابع أصابع الفتي الصغير، وهو يشير نحو منزل يقع بنهاية الشارع على اليسار: هذا والده الذي يجلس أمام الباب.

قالها ثم غادر لمتابعة اللعب بالكرة مع أقرانه، اتجه محمد ومن معه نحو المنزل المنشود للبحث عن صابر، وجد محمد رجلا نحيفا، عظام وجهه بارزة، حفر الزمان على وجهه أخاديد، محني الظهر، ملابسه رثة، مَن يراه يظنه خرج للتو من داخل أحد القبور المجاورة لمنزله، يحمل بين يديه إناءً زجاجيا كبيرا بداخله خرطوم ومياه عكره يعلوه موقد صغير من الصلصال، عليه بعض الفحم المشتعل، سأله محمد:

- هل أنت والد سوزي سالم؟

لم يعره الرجل انتباها، وأكمل تنفيس دخان نارجيلته، عاود السؤال مرة أخرى بصوت أعلى ظنا منه أن سمعه ضعيف، رفع عينيه رامقا إياه بنظرة غاضبة:

- لا ترفع صوتك، لقد سمعت سؤالك.

حدجه محمد بنظرة غضب كادت تحرقه في موضعه ليجيب عليه بنفس الحدة:

- قف وأنت تحدثني، هل أنت والد سوزي؟
- لا يوجد أحد هنا بهذا الاسم.
- أين صابر ابنك؟
- لا أعلم.

قالها ثم دلف إلى داخل المنزل مغلقا الباب خلفه، ما فعله جعل محمد يستشيط غضبا، كيف لهذا الرجل أن يعامله بهذا التجاهل، على الرصيف المقابل لهذا المنزل، كان صبي مقهى المعلم حسني يتابع ما يحدث، فأسرع نحو محمد الذي همَّ بكسر الباب لتأديب هذا الرجل الخرف: دعك منه يا باشا، فهو كبير السن، وأصبح عقله خفيفا وبالأخص بعد هروب ابنته، هو والد سوزي سالم لكن من بعد هروبها تبرأ منها، وأخبر الجميع أن سنية ابنته ماتت.

- هل تعلم أين صابر ابنه؟
- الشيخ صابر يصلي العصر بجامع السيدة زينب، ثم يحضر بعده درس الدين.

جلس محمد على أحد الكراسي ليسمع من الفتى باقي قصة سنية..

- ما اسمك؟

- (مصطفى)

وضع محمد يده على كتفه، ثم سأله: أخبرني بكل شيء تعرفه يا مصطفى عن هذه الأسرة وعن ابنتهم سوزي.

قبل أن يخبره الفتى بما يعرف استدعاه أحد الزبائن، غادر لمباشرة عمله قبل أن يوبخه صاحب المقهى، لبى طلب الزبون، ولكن قبل أن يعود إلى الضابط ليخبره بما يعرف وجد صابر يدخل إلى الحارة، فأشار لمحمد أنه مَن يبحث عنه، في لمح البصر كان صابر داخل سيارة الشرطة، وغادر الحي كله، بجانب الباب الخشبي للمقهى كان أحدهم يتابع ما يحدث، ويسجل كل شيء بعيون كالصقر، نادى على مصطفى فأقبل ملبياً: أوامرك.

أخرج من الجاكت الخاص به ورقة مالية من فئة الخمسين جنيه، ثم قدمها له، ابتسم في وجهه ليخبره: لحظات وأحضر لك باقي المبلغ.

- لا، هذه الورقة ملك لك.

قبل مصطفى الخمسين جنيها، ثم وضعها داخل مريلته البيضاء ليسأله: كيف أخدمك؟

- أريد أن أعرف قصة سوزي كاملة.

نظر نحوه مصطفى ببعض الريبة، لكنه فهم نظرته، فقال مفسراً:

- لا داعي للخوف أو القلق، أنا عصام أمين الصحفي، أعمل بجريدة الأمل، تركهم متجها إلى قسم الشرطة لتق وأريد إجراء حوار صحفي عن سوزي؛ لأنها فازت بجائزة الدولة، وبالطبع سوف أضع اسمك وصورتك بجوار الخبر.

فرح كثيرا عندما سمع كلام عصام؛ لذا أحضر له فنجانا من القهوة، ثم بدأ يقص ما يعرفه عن سوزي: والدها كان عاملا بمصلحة البريد، والآن هو على المعاش، والدتها وشقيقتها تعملان في مساعدة سيدات الحي والأحياء المجاورة في نظافة منازلهن، الشيخ صابر بعدما تخرج من المعهد حاول البحث عن عمل، لكنه لم يوفق، بعدها التف حوله بعض الرجال من مدعي الدين فتحول من صابر إلى الشيخ صابر.

- هل لديها أشقاء أو شقيقات آخرين؟
- لديها شقيقتان، الأولى تدرس بالجامعة، والثانية تدرس بالمدرسة الثانوية.
- متى هربت سوزي من هنا؟
- منذ عدة سنوات قبل زفافها بأسبوع.
- هل كانت مخطوبة؟

- نعم، كانت مخطوبة للمعلم عمارة النجار، لكنها هربت قبل الزفاف، لذا قام والدها بزواج شقيقتها لعمارة بدلا منها.
- وهل وافق عمارة؟
- بالتأكيد، وتم الزواج.
- أين أجد عمارة هذا؟
- الورشة الخاصة به على بعد شارعين من هنا.

شكره عصام، ثم غادر لمقابلة عمارة.

داخل قسم الشرطة وُضع صابر بإحدى الغرف دون أن يعلم سبب القبض عليه، انزوى بجانب الحائط متخذا وضعية القرفصاء، وقد ضمَّ ركبتيه إلى صدره، بينما كانت عيناه الحائرتان تتابعان الوجوه المحيطة به في توتر..

دلف محمد إلى مكتب آسر ليخبره أنه أحضر صابر، لكنه وجده مشغولا بالتحقيق مع فتاة، جلس بالقرب من الباب يتابع ما يحدث عله يعرف مَن هذه الفتاة المرتجفة، كانت طوال الوقت تفرك كفيها ببعضهما البعض، زاد ارتباكها حينما ذكر آسر أمامها اسم سوزي، إذا هي مساعدتها النى أخبرني عنها الحارس، قالها محمد لنفسه، بينما سألها آسر: منذ متى وأنت تعملين مع القتيلة؟ وهل توجد معرفة سابقة بينكما؟

- أعمل معها منذ أول يوم لها، لا توجد علاقة سابقة بيننا، بدأت معرفتي بها عندما تقدمنا إلى مكتب إنتاج إعلامي للظهور في إعلان.
- ماذا حدث بعد ذلك؟
- في بادئ الأمر المخرج اقتنع جدا بموهبتي، وأنني الأصلح لهذا الإعلان، وصلت منزلي والسعادة تحلق حولي، كنت أصارع الوقت حتى يأتي الصباح وأوقع عقد أول إعلان لي، لكن عندما ذهبت إلى المكتب في الصباح وجدت كل شيء تبدل، وتم اختيار سوزي بدلا عني، وأيضاً المنتج قام بتغيير المخرج، هدمت أحلامي في لحظة أمام عيني، اسودت الدنيا بمقلتيّ، خرجت أجرُّ أذيال الخيبة لكن سوزي هرولت خلفي، وطلبت مني العمل معها وألا أيأس، وأنها سوف تجعلني أعمل بإعلان آخر، ومن هنا بدأت علاقتنا.

نظر لها آسر بعيون متفحصة: ألم يسبب هذا الموقف بغضا بداخلك نحوها؟

زاغت عيناها، لعقت شفتيها، ثم أجابت:

- لا، فهذا قدري، منذ ولدت كل ما أتمناه لا يتحقق، ثم أنها جعلتني مساعدتها، وأيضاً رشحتني للعمل ببعض الأعمال التي قامت بتمثيلها.
- هل تعرفين فايز الألفي؟
- بالتأكيد فهو منتج معروف ورجل أعمال مشهور.
- ما علاقة سوزي به؟
- كانت تعمل معه، وتزوجا لفترة، ثم قررا الانفصال.
- هل تم الانفصال بالتراضي؟ أم حدثت مشاكل بينهما؟
- لم تحدث أي مشاكل، وهما كانا على وفاق.

حاول محمد مقاطعتها وتكذيبها إلا أن آسر أشار له بالهدوء، ثم حول كلامه لها مرة أخرى:

- شكرا نرجس، لا داعي للسفر أو مغادرة البلاد لحين انتهاء التحقيق؛ قد نحتاج لكِ مرة أخرى.
- حاضر.

قالتها، وخرجت من الباب، وعلى ثغرها ابتسامة نصر، اتصلت برقم مسجل بهاتفها:

- لا داعي للخوف، لقد أخبرته كما اتفقنا. ثم أنهت المكالمة.

- إنها تكذب.
- أعرف.
- إذا لمَ تركتها تغادر؟
- لأنه لا يوجد إثبات واضح على كذبها، والمحكمة دائما تعترف بالأدلة المادية وليس بالإحساس.. أريد منك إرسال أحد رجالك لمراقبتها جيدا.
- حاضر.
- هل أحضرت شقيق سوزي؟
- أجل، إنه داخل الغرفة الأخرى في انتظار معرفة ما جرمه.
- أحضره إليَّ هنا؛ حتى نسمع ما لديه.

دقائق وعاد محمد ومعه صابر، لم يختلف لون وجهه عن لون جلبابه المصفر، وقف أمام آسر مستفسرا عن تهمته فإن كان الدين تهمة أو الصلاة في المسجد تهمة فإذا الجميع متهمون.

- ما علاقتك بسوزي سالم؟

قالها آسر منهيًا هذا العبث الذي يلفظ به ذلك الماثل أمامه، هذه الطائفة سممت العديد من العقول بهذه الاتهامات الملفقة، وأن الشرطة

تكره مَن يتبعون الدين بينما الحقيقة هم لا يعرفون الدين بل يتخذونه ستارا للتستر على جرائمهم وتجاوزاتهم..

- لا أعرف أحد بهذا الاسم.
- كيف ذلك؟ جميع الأدلة والسجلات تثبت أنها شقيقتك.
- شقيقتي تدعى سنية، وتوفيت منذ هربت من منزلنا.
- إذا لمَ ذهبت إلى فيلتها وقمت بالتعدي عليها؟

حاول الإنكار إلا أن آسر بتر حجته مسبقاً: يوجد شهود على كلامي، فلا تحاول الإنكار.

ازدرد لعابه قائلاً:

- ما حدث كان خوفا عليها؛ فهي تركت المنزل، وارتمت بين أحضان مجتمع لا يشبهنا، بين ليلة وضحاها جرى المال بين يديها بدون حساب، لا أعلم ما تنازلت عنه لتحصل على كل هذه الأموال، خلال مدة قصيرة أصبح لديها سيارة وفيلا وأموال لا حصر لها، كل هذا أثار الريبة داخلي، ودفعني للذهاب لها وسؤالها عن مصدره، لكنها أهانتني..
- لذا قتلتها انتقاما منها على إهانتك.

نزلت كلماته كصاعقة ضربت كيانه

- ما الذي تقوله؟
- أراك تدعي الجهل وعدم المعرفة، سوزي وجدت داخل فيلتها غارقة في دمائها بسبب طلق ناري.

ظلَّ يُقسم أنه لا يكن لشقيقته سوى كل خير، وأنها مهما حدث منها تظل في النهاية شقيقته بل ابنته؛ فهو مَن قام برعايتها طوال سنوات عمل والده وشقائه، خرجت حروفه ممزوجة بدموع الحسرة على ما أصابها: أين هي الآن؟ هل أستطيع رؤيتها؟

- الجثة لازالت داخل المشرحة، فور الانتهاء من تشريحها وصدور تقرير الطب الشرعي تستطيع استلام الجثمان.

خرَّ أرضًا باكياً على ما آلت إليه شقيقته؛ فلطالما خشى عليها من هذا الطريق، لكنها لم تستمع لكلامه.

لم يجد آسر ما يُدين صابر، ولا أي إثبات على تورطه في قتل شقيقته؛ لذا سمح له بالمغادرة بعد أن أخبره بعدم السفر أو مغادرة البلاد لحين إنهاء التحقيق..

فور خروجه أمر رجاله بوضعه تحت المراقبة لحين العثور على الجاني.

دقات على باب المكتب تبعها صوت آسر بالسماح لمَن بالخارج للدخول، دلف أحد العساكر يحمل بيده مظروفا لونه أبيض عليه شمع باللون الأحمر.

- تقرير الطبيب الشرعي يا سيدي.

الفصل الثالث

أمام ورشة عمارة وقف عصام يتابع العاملين بداخلها؛ عله يجد ضالته، مرَّ بجانبه طفل يتجه صوب الورشة لم يتعدَ الخمس سنوات من العمر، يرتدي ملابس أكبر من حجمه، وكأنها ملك لشقيقه الأكبر، كان ينادي: أبي، جدي عثمان يريدك.

خرج من داخل الورشة رجل في أواخر الأربعينات، متوسط القامة يزك بقدمه اليسرى قليلا، ملامحه مغطاه بغبار الأخشاب التي يعمل بها، ردَّ على الصغير قائلاً:

- ماذا يريد يا عامر؟
- لا أعرف، هو يريدك فقط.

ذهبا معا نحو منزل حماه، اقترب عصام من الورشة يسأل أحد العاملين بها عن رب عمله:

- المعلم عمارة رجل طيب يحب عمله، يعتبره الزبائن فنانا في مجاله، يطلبه العديد من أصحاب المنازل الكبيرة لتشطيب بيوتهم، لكن ما سبب السؤال؟ هل تريده في عمل ما؟
- بالتأكيد، فأنا سألت العديد من أصدقائي، وجميعهم قاموا بترشيحه لي لتشطيب نجارة منزلي وعمل بعض قطع الأثاث.
- انتظره، فهو سوف يعود سريعا.
- سوف أمر عليه في وقت لاحق؛ لأن لديَّ موعد هام تذكرته.

غادر عصام ذلك الحي متجها نحو الجريدة التي يعمل بها لتغطية هذا الحادث مع رئيس التحرير.

ما إن وصل عمارة إلى منزل والد زوجته؛ ليعرف سبب استدعائه له حتى ملأت رائحة الرطوبة رئتيه، نزل درجتين وصولا إلى باب الشقة التي كره قاطنيها، في كل مرة يقوم حماه باستدعائه تكون هناك مشكلة أو كارثة، ترى هل زوجته تحمل طفلا جديدا ويريد إخباره بهذا الأمر؛ فهي تظن أن كثرة الأطفال رباط للرجل، أم أن ابنه افتعل مشكلة جديدة، ويريد منه أن يضمنه بالقسم وإخراجه منه، مرَّ أمامه شريط

ارتباطه بهذه العائلة بداية بسنية وحبه لها، ونهاية بزواجه من شقيقتها وإنجابها منه أربعة أطفال..

في كل ليلة يتخيلها إلى جواره عوضا عن زوجته، جميع أفلامها يحفظها عن ظهر قلب، لطالما تخيَّل نفسه جوارها يتمتع بذلك القوام الثعباني الذي يلهب جسده كلما تخيله بين ذراعيه، جذبه عامر من يده ليرن جرس الباب؛ فصوت جده يصدع بأرجاء المنزل، خرج من شروده مستغفرا الله على تلك الورطة التي أقحم نفسه فيها منذ عدة أعوام، فتحت الباب صغيرته سارة، والتي تحمل بين يديها أخاها الأصغر فارس، قبلها ثم سأل حماه الذي كان يجلس على أريكة خشبية يغطيها الكليم اليدوي:

- ماذا حدث؟
- مصطفى الذي يعمل بمقهى المعلم حسني رشوان أخبرني أن رجال الشرطة أخذوا صابر.

ردَّ عليه عمارة ببرود؛ فهو اعتاد على ذلك:

- ماذا فعل هذه المرة؟
- لا أعلم السبب.
- حسناً، سوف أذهب إلى القسم، وأعرف سبب القبض عليه.

- صّى الحقيقة ومعرفة سبب القبض عليه؛ فهو يعرف أحد الأمناء هناك يساعده في كل مرة يتم فيها إلقاء القبض على صابر.

خرج صابر من القسم لا يعلم كيف سيواجه والديه، كيف سينقل لهم حقيقة ما حدث، وسبب استدعاء الشرطة له، ظل يدعو الله أن يساعده على تخطي هذه المحنة، بعيون دامعة دلف إلى منزله صرير بابه جعل والدته تلتفت إليه ما إن رأته حتى شعرت أن هناك خطبا ما، وأن ما حدث اليوم واختفاءه وراءه شيء لا يُحمد عقباه:

- ماذا حدث؟ لِمَ قُبض عليك؟

هرب من عيني والدته التي تحاصره، فهو يعلم أنه لن يستطيع إخفاء الحقيقة عنها، دام صمته مما زاد من خوفها، أعادت عليه سؤالها مرة أخرى، وهي تمسكه من تلابيبه:

- ماذا حدث؟ أخبرني لِمَ كل هذا الصمت؟ أين كنت؟ ماذا فعلت؟

سقطت دموعه عنوة مما جعل الخوف يتملك قلبها أكثر وأكثر فمنذ الصباح وقلبها ينبئها بأن مكروها ما سيحدث، اجتمع كل مَنْ بالبيت على صوتها، وقد حاصرته العيون المتسائلة، بلل شفتيه بلعابه، خرجت حروفه متقطعة بصوت خافت لم يسمعه سوى والدته:

- سـ سنية..

جحظت عيناها، شدت قبضتها عليها أكثر، وهي تسأله:

- ماذا حدث لها أخبرني؟ ماذا حدث لابنتي؟
- سنية قُتلت، وجدوها مقتولة داخل فيلتها ليلة أمس..
- كاذب..

كلمة واحدة صرخت بها أمه في وجهه، قبل أن تسقط أرضا مغشيا عليها، فهرعت نحوها فاطمة تحاول اللحاق برأسها قبل أن ترتطم بالأرض الصلدة، وهي تصرخ في جزع:

- أمي..

اضطربت الأجواء، وعمَّ الهرجُ من حولها، هرولت أمل نحو المطبخ لإحضار كوب من الماء، بينما ابتسام توجهت نحو غرفتها لإحضار عطر ذي رائحة نفَّاذة ليساعدها على الإفاقة، أحضر والدها بصلة من المطبخ كسرها إلى نصفين، حرَّك نصفها أمام أنفها ذهاباً وإياباً عدة مرات، فتحت عيناها ببطء، مسكت رأسها بيدها في إعياء.. سألتها فاطمة:

- هل أنتِ بخير؟ ماذا حدث؟
- أشعر بثقل في رأسي، والأرض تدور من حولي.
- ماذا قال لك صابر لتفقدي وعيكِ؟

حينها صرخت باسم ابنتها، ظلت تصرخ، وتلطم وجهها على فِراق ابنتها.. حاولت فاطمة وصابر منعها من ذلك، اهتزت قدما عثمان فسقط على الأريكة الموجودة خلفه فور سماعه ما حدث، عمَّ البكاء والصراخ أرجاء المنزل، أسرع جميع سكان الحي لمعرفة سبب هذا العويل، وقد ظن البعض أن عثمان وافته المنية، بينما البعض الآخر تكهن أن صابر يضرب إحدى شقيقاته.. لحظات قليلة وأصبحت الشقة تكتظ بمَن فيها..

- ماذا حدث يا أم صابر؟

قالتها إحدى الجارات التي تقف بالشرفة المقابلة لمنزلهم، أخرى دلفت إلى الداخل لمعرفة سبب صراخ وعويل جارتها مع رجال الحي

- ماذا حدث يا صابر؟

قالها صاحب المقهى المقابل لمنزلهم:

- هل حدث شيء لعثمان؟ هل أصاب أخوتك أي مكروه؟ ماذا حدث؟ لِمَ لا تجيب؟ انطق.

أجابهم والدموع تتساقط من عينيه:

- سنية قُتلت..

وقع الخبر على مسامع الجميع كدانة مدفع أصابتهم جميعا بالصمم، رغم بعدها وهروبها إلا أن الجميع حزن على ما أصابها؛ فهم مَن قاموا برعايتها حتى وصلت لهذا العمر؛ طفولتها وشبابها كان بين أرجاء هذا الحي وتحت رعاية ساكنيه، بكي والدها بشدة:

- أنا السبب، أنا مَن قتلتها، رفضي لها جعلها تغرق في بحر الوحل حتى فقدت شبابها.

اقترب منه المعلم حسني رشوان صاحب المقهى قائلاً:

- وحّد الله يا "صابر"؛ إنها إرادة الله؛ هذا عمرها؛ وقضاء الله.

أخذت جارتهم أطفال فاطمة إلى منزلها؛ لتبعدهم عن أجواء الصراخ والعويل؛ فهم لازالوا صغارا وهذا المنظر سوف يرعبهم.. افترشت أم صابر الأرض تندب حالها بعد فِراق ابنتها ومن حولها بناتها اللاتي شاركنها العويل على فِراق شقيقتهن..

- أريد ابنتي، أريد رؤيتها، أريد لمسها، أريد ضمها وتوديعها..
- الجثة لازالت داخل المشرحة، هذا ما قاله الضابط.

وصل عمارة قسم الشرطة، لكنه لم يجد صابر، حاول الاستفسار من الأمين سيد عن سبب القبض على صابر والإفراج عنه بهذه السرعة:

- لا أعرف، هناك أمر خطير الكل يتكتم عليه، صابر حضر هنا للحظات، ثم غادر مع معاون المباحث، ولا أعرف إلى أين ذهب.

عاد عمارة ليجد الحي كله يُخيم الحزن عليه، وخبر وفاة سنية يتردد على ألسنة الجميع، ماتت محبوبته وفتاة أحلامه، نظر حوله؛ فهو يشم عبيرها، ويرى طيفها في كل مكان، هنا كانت تلعب، هناك كانت تدرس، هنا شبَّت قامتُها، ونمت ثمارها التي تمنى عمارة قطفها في يوم ما، سقطت دموعه أنهارا على فِراقها، أسرع نحو منزلها علَّه يراها للمرة الأخيرة، لكنه لم يجدها، كان الجميع يبكي فِراقها، اقتربت منه فاطمة فرسم اللامبالاة على وجهه؛ ليخفى حزنه، سألها:

- ماذا حدث؟

أجابته بعيون باكية:

- سنية قُتلت في فيلتها.

احتضنها ليواسيها، وهو لا يعرف إن كان يواسي حاله على فِراقها، أم يواسي زوجته سألها: أين هي الآن؟ علينا أن نكرمها ونقوم بدفنها.

- لازالت داخل المشرحة، هذا ما قاله صابر.

تحجج بوجود عملٍ هام عليه أن ينهيه في الورشة ليغادرهم، ترك لساقيه العنان لا يعرف أين وجهته، هام كالمجذوب، سمع سبابا ولعناتٍ من

أصحاب السيارات التي مرَّ أمامها غير عابئ بحياته ولا حياة الآخرين، حتى وجد نفسه أمام باب المشرحة حيث جثمانها، وقف خارج بابها كحال العديد ممَن ينتظرون استلام ذويهم مثله، وقف حائرا لا يدري بم يعلل لهم طلبه رؤيتها، حتى وجده أمامه فجأة يمر وسط الجموع المتزاحمة، فصرخت أعماقه في دهشة، كيف نسى كاظم ابن خالته الذي يعمل حارسا بالمشرحة، وسرعان ما هتف به بصوت عالٍ، قبل أن يختفي وسط الموجودين:

- كاظم.. كاظم..

التفت نحوه شاب في منتصف الثلاثينات، يشبه نجوم السينما، طويل القامة، عيناه خضراوان، يحمل وجها طفوليا، مَن يراه لا يصدق أنه يعمل في مثل هذا المكان الموحش، اقترب منه يضمه:

- كيف حالك يا عمارة؟ ما الذي أتى بك إلى هنا؟! هل خالتي بخير؟

بادله السلام مجيباً:

- كلنا بخير، أريد منك طلبا شخصيا، ولا أريد أن يعرف به أي شخص.
- ما هو؟

- أريد دخول المشرحة، أنت الوحيد القادر على مساعدتي.
- ماذا حدث؟ من بالداخل تريد رؤيته، أخبرني؟
- سوف أخبرك، لكن عدني أن ما سأقوله سوف يظل سرا بيننا.
- أعدك.
- هل تتذكر الفتاة التي حكيت لك عنها، وأخبرتك أنني أريد الزواج منها؟
- نعم، أتذكرها، إنها فاطمة زوجتك أليس كذلك؟
- لا، مَن أحببت كانت شقيقتها "سنية" التي هربت وتركتني أبكي أطلالها لسنواتٍ وسنوات.. تزوجتُ شقيقتها بدلا منها، وأخفيت وجعي بداخلي، في كل مرة كنت أرى صورتها تشتعل نيراني مجددا، وكأنها تركتني بالأمس القريب..
- ما علاقة كل هذا بالمشرحة؟!
- مَن أحببتها بداخل المشرحة الآن..

وصمت للحظات ابتلع فيها ريقه، قبل أن يستطرد قائلا بتوسل، وهو يلتقط من جيبه كل الأموال التي معه، ويقدمها له:

- بحق الأخوة والصداقة التي تجمعنا يا كاظم، دعني أراها للمرة الأخيرة.. خذ كل هذه النقود وادفع لزملائك ما شئت، المهم أن تساعدني في رؤيتها..

أرجوك يا كاظم.. أرجوك..

تمزق قلب ابن خالته كاظم من أجله، فربت على كتفه مطمئنا إياه رغم علمه بصعوبة الأمر؛ لعدم وجود صلة قرابة رسمية، قبل أن يتحرك صوب صديقه الجالس على باب المشرحة، ووضع بين يديه بعض الورقات النقدية المخفية داخل علبة سجائر، ثم همس له بما يريد.. نظر صديقه حوله مرات في توتر، قبل أن يهتف بكاظم قائلا بصوت خافت، وهو يخفي بجيبه علبة السجائر:

- خمس دقائق فقط.

شكره كاظم، وأشار بيده لعمارة الذي كان ينتظره على بعد خطوات منهما..

وقف أمام بابها الضخم ذي اللون الأسود يقدم خطوة ويؤخر أخرى، ما إن وطأ بقدميه أرضها حتى شعر برهبة وقشعريرة تسري بكامل جسده، خطا بضع خطوات داخل ذلك الممر إلى أن وصل أمام الباب، طرق كاظم الباب ثلاث مرات، ثم دخل يلقي السلام، نظر له عمارة بعدم فهم قائلاً:

- ماذا تفعل؟ إنهم أموات!
- للمشرحة طقوس لابد من اتباعها؛ حتى لا تصيبك لعنتها.

- ما هذه الألغاز؟
- سوف أخبرك بكل شيء فيما بعد، الآن أخبرني عن اسم شقيقة زوجتك سريعا.
- اسمها الحقيقي أم اسم الشهرة.
- الاثنان.
- سنية عثمان، وشهرتها سوزي سالم.

فغر كاظم فاهه حينما سمع اسمها، وراح يردد في ذهول:

- هل أنت متأكد؟
- وهل هذا وقت المزاح؟!

بحث داخل السجل الموضوع بجانب الثلاجة الكبيرة على رقم الدرج الموجودة بداخلها، ما إن فتح الدرج المنشود حتى امتلأت الغرفة ببرودة تقشعر لها الأبدان، فضم طرفي الجاكت الذي يرتديه ليحمي جسده من تلك البرودة التي تُغلف الغرفة، في نفس اللحظة التي كشف فيها كاظم عن وجهها ليسمح له برؤيتها..

اقترب عمارة نحوه بأقدام متخبطة:

- انظر يا كاظم.. هي نائمة، لم تضعها هنا؟ لابد أنها تشعر بالبرد..

خلع عنه سترته ليضعها عليها، ربت كاظم على كتفه:

- عمارة هي ميته الآن، عليك الاقتناع بهذا الأمر.
- لا، أنت تكذب، انظر إلى وجهها لازال مشرقا برغم البرودة التي تحيط بها..

لمس وجهها ليبث بعض الدفء لها، لمس شفتيها الكرزية التي لطالما حلم بقطفها وتقبيلها، مسد وجنتها ليوقظها، سقطت دموعه على وجهها فتحولت لبلورات لامعه، احتضنها، وهو يبكي فراقها:

- آهٍ من بعادك حبيبتي، لم أنسكِ يوما واحداً ولا ساعة، دائماً كنتِ رفيقتي ومؤنسة ليلي، عشتُ معكِ أياما طوال وأنا أقطف من شهدك وأرتوي، لِمَ هربتِ وتركتني؟! ليتكِ أخبرتني يوما أنكِ كنت تريدين العمل بالتمثيل، كنت سأوافق، وأعمل لديكِ خادما إن أردتِ، لِمَ هربتِ بقلبي؟ لِمَ عبستِ في وجهي عندما أتيتُ إليكِ؟ أنا لم أعشق أحدا غيركِ، ولن أعشق سواكِ...
- عمارة يكفي هذا، هيا بنا..
- دعني معها قليلا، دعني أملأ عيني من وجهها الذي سأحرم منه باقي حياتي، دعني أبث لجسدها بعضا من الدفء؛ فهي تكره البرودة..

كان يحدثه والدموع تتساقط من عينيه كالشلالات

- يكفي هذا، دعها ترقد في سلام، هي الآن بين يدي الله..

حاول إبعاده وإغلاق الدرج عدة مرات، لكن في كل مرة كان يطلب منه الانتظار قليلا؛ فهو يخشى عليها تلك البرودة والوحدة.

- يكفي، لمَ تفعل كل هذا هي تركتك وهربت؟
- هل لك حكم على قلبك لتنصحني بنسيان حبها، هي مَن ملكت قلبي منذ أن رأتها عيني، سلبت عقلي وقلبي وهي ابنة الثالثة عشر، ضحكتها تطن داخل أذني حتى الآن..
- هوّن عليك أخي، واطلب لها الرحمة..

خرج عمارة بشق الأنفس تاركا قلبه بداخل ذلك الدرج إلى جوارها.

*****

اتصل آسر بزوجته للاطمئنان عليها:

- كيف حالكِ اليوم وحال صغيرنا؟
- نحن بخير، كيف حالك أنت؟ هل عرفت القاتل؟
- لازال التحقيق مستمرا؛ فهي شخصية معروفة، وكان لها العديد من العلاقات والمعارف، أخبريني يا ريم هل لازالت علاقتك طيبة بهنادي؟

- أجل، لِمَ السؤال؟
- سؤال عابر
- هل ستأتي اليوم؟
- إن شاء الله
- سوف أنتظرك على العشاء.

أنهى مكالمته، ثم هتف قائلا بمحمد الذي وصل لتوه:

- ما أخبار المراقبة؟
- نرجس زارت اليوم الفنان تامر فؤاد.

تعجب آسر من زيارتها له:

- تُرى ما الصلة التي تجمعهما؟
- لا أعلم، قبل قتل سوزي كانت هناك إشاعة عن وجود علاقة وقصة حب بين سوزي وتامر، وأنهما كانا سيرتبطان..
- أريد كافة المعلومات عنه، هل حصلت على تسجيلات الكاميرات؟
- حاضر، تسجيلات الكاميرات سوف يحضرها فواد من فني المعمل الجنائي.

فتح آسر متصفح جوجل للبحث عن الأخبار المتعلقة بسوزي، ما إن كتب اسمها حتى ظهرت أمامه العديد من الأخبار والصور التي

تجمعها مع بعض المشاهير من الفنانين ورجال الأعمال وبعض الصور مع المخرج (حسام الدين)، والبعض الآخر مع رجل الأعمال والمنتج الشهير فايز الألفي، بين هذه الأخبار والصور وجد ما لفت انتباهه وهو صورة تجمعها مع الممثل الشاب تامر على أحد اليخوت الموجودة بشاطئ البحر الأحمر، وتحتها كُتب قصة حب جديدة بين الأمواج الهادئة.. تابع تصفحه ففوجئ بصورة أخرى تجمعهما بأحد الملاهي الليلية وهما يرقصان معاً، وتحتها كُتب سوزي تحتفل بعيد ميلادها مع صديقها الجديد، أنهى آسر قراءة تلك الأخبار ليتصل بعدها مباشرة بفؤاد يطلب منه معلومات كاملة عن فايز الألفي وتامر فؤاد وكل مَن له علاقة بسوزي.

حمل بين يديه ذلك المظروف ليفض ما بداخله من أوراق، التهمت عيناه الأسطر سريعا، وتوقفتا عند سبب الوفاة، عيار ناري أُطلق من سلاح ناري مفرد تعذر تحديد نوعه، أو نوع الطلقة التي اخترقت الصدر من الأمام إلى الخلف، وأحدثت كسورا بعظام الصدر، وتهتكا بالرئة اليسرى ونزيفا بالداخل.

تضمن التقرير أيضا يوجد عدة بصمات بخلاف بصمات القتيلة، استدعى آسر فؤاد:

- أريد منك إحضار الحارس، وصديقه، ونرجس، وصابر، وكل مَن تعامل مع سوزي؛ أريد معرفك لمَن هذه البصمات، أيضا أريد عنوان تامر الممثل والمنتج فايز الألفي.

قالها ثم غادر إلى منزله؛ فهو مهلك القوى.. استقبلته ريم بحنان وهي تضمه:

- اشتقت إليك، هل وجدت الجاني؟
- لا، هذه القضية ليست سهلة كما يعتقد البعض؛ سوزي متعددة العلاقات؛ وهذا يجعل أصابع الاتهام تتجه نحو العديد من الأشخاص المحيطين بها (المنتج، شقيقها، مساعدتها، حرامي، أو أي شخص آخر..)
- إن شاء الله تستطيع حل هذه القضية كما تفعل دائما.
- يا رب.

تركها آسر، ودلف إلى الحمام؛ علَّ الماء الساخن يزيل ذلك التوتر والإجهاد الذي يشعر به، ما إن أنهى حمامه، وخرج منه حتى وجدها قد أعدت العشاء ليتناولاه معاً:

- كيف كان يومكِ؟

- كما الأمس، بعض الأعمال الخفيفة ومتابعة المرضى، ثم العودة إلى المنزل.

انتهيا من تناول طعامهما، ثم ساعدها في غسيل الأطباق وترتيب الشقة بعدها دلفا إلى غرفة النوم لينالا قسطاً من الراحة، برغم حملها إلا أنها لازالت تتمتع بقوام مثير ضمها إلى ذراعيه لينهل من شهدها غابا معاً عن العالم، وضع هاتفه على الوضع الصامت حتى لا يزعجه أحد؛ لمساتها تزيح توتره تجعله دائما يتوق لها ولا يستطيع الابتعاد عنها، ارتخى جسده، شعر بالنعاس يداعب جفونه، ضمها إلى صدره العاري، لفَّ ذراعه على تكوير بطنها محتضناً إياها وجنينهما ثم غفى.

****

جلس عصام يفرغ المعلومات التي جمعها عن سوزي، وعن عائلتها، والحي الذي عاشت به، قدمه بعدها إلى رئيس التحرير الذي مدحه على هذا الجهد..

****

استيقظ آسر ليجد محمد اتصل مرتين، فتح عينيه بثقل باحثاً عن علبة السجائر التي لا تفارقه، عاود الاتصال به مرة أخرى:

- صباح الخير محمد، ماذا حدث؟

- صباح النور آسر، أحضرت عنوان تامر وفايز.

سجل العنوانين، ثم أخبر محمد أنه سيذهب إلى مقابلتهما

أنهى المكالمة ليجد ريم تقف أمامه بوجهها البشوش، وبين يديها فنجان القهوة الخاصة به، شكرها فهو بحاجة إليه ليساعده على التركيز والإفاقة.. ارتدى ملابسه بعد أن أنهى حمامه الصباحي، ثم اتجه نحو العنوان الأول، أمام أحد القصور الضخمة بالمقطم وقف آسر بجانب الحارس، قدَّم له إحدى سجائره الخاصة:

- هل هذا قصر فايز الألفي؟
- أجل.
- هل أستطيع مقابلته؟
- أنه خارج البلاد.
- هل تعرف الفنانة سوزي سالم؟
- ومن في مصر أو الوطن العربي لا يعرفها؟!
- ما علاقتها بفايز الألفي؟

نظر له الحارس بوجل؛ فايز رب عمله، ولا يستطيع التحدث عنه بسوء، فهم آسر نظراته، وما يقلقه:

- لا داعي للخوف؛ فلن يعرف أي شخص أنك تحدثت معي، بالمناسبة ما اسمك؟
- عرابي.
- ماذا تعرف عنهما؟

نظر حوله ليتأكد من خلو المكان، ثم اقترب منه قائلاً:

- هما متزوجان أو بينهما علاقة والله أعلم، إنها أعراض ولا يصح أن نخوض فيها.
- كيف عرفت بعلاقتهما؟
- قبل عدة أشهر كانت تقيم هنا بشكل شبه دائم، وكثيرا ما كان يطلب فايز بك توصيلها إلى الأستوديو وجميع مَن بالقصر يعملون تحت إمارتها إلى أن حدث خلاف كبير بينهما على إثره خرجت، ولم تعد من بعدها.
- متى حدث هذا الخلاف؟
- ليلة رأس السنة، خرجا معا لقضاء السهرة مع بعض المشاهير ورجال الأعمال لكن فايز بك حضر إلى القصر بمفرده بعد ساعتين من خروجهما غاضبا، صرخ يومها في وجهي فقط لأنني كنت أجلس داخل غرفتي، ولم أفتح البوابة قبل أن يطلق بوق السيارة.

- أكمل وماذا حدث بعدها؟
- عند الثانية صباحا عادت السيدة سوزي بسيارة أخرى، حينما دلفت إلى الفيلا نشبت مشادة كبيره بينهما بعدها خرجت ملابسها ممزقة وشعرها مبعثر، اتصلت بأحد ما، ثم غادرت معه، ولم تحضر إلى القصر.
- هل تتذكر ملامح مَن أتى لاصطحابها.
- للأسف لا.

شكره، ثم غادر بعدما أعطاه رقم هاتفه، وأخبره أنه إذا تذكر أي شيء عليه الاتصال به فورا.

اتجه آسر بعدها إلى عنوان شقة تامر، لكن قبل أن يصعد وجد محمد يتصل به، ويطلب منه العودة لأمر هام.. فعاد أدراجه إلى القسم فورا، وهتف بمحمد:

- ما هذا الأمر الهام الذي لا يحتمل الانتظار؟
- اقرأ هذا الخبر، وانظر إلى الصورة المرفقة معه.

حمل آسر عنه الجريدة، ليطالع ذلك الخبر فوجد مقالا عن حادث مقتل سوزي، وعن نشأتها، وعائلتها، ومعه بعض الصور لأفراد أسرتها؛ نظر له متسائلا:

- ما المشكلة، من الطبيعي أن يتم نشر خبر وفاتها.

أشار محمد نحو صورة تجمع فتاتين، ووضع حولهما دائرة، قبل أن يتابع قائلا، وعلى وجهه تبدو أمارات التفكير:

- انظر لهاتين الفتاتين بتلك الصورة وسط الدائرة، إنهما نفس الفتاتان صاحبتا الصورة داخل فيلا سوزي، ومن المحتمل أن يكونا لهما يد في حادث القتل، أو على الأقل يكونا سببا في حادث مقتلها؛ احتمال كبير أن يكون والد أو أخ إحدى الفتاتين هو مَن قام بقتلها بدافع الحفاظ على الشرف؛ خوفا من أن تسلك الفتاتان أو إحداهما نفس مسار سوزي في طريق الضياع، وبالأخص أن سوزي سبقتهما بالهروب، وفكرة أنهما تتبعان نفس مسارها فكرة واردة.

نظر آسر إلى الصورة مشيدا بملاحظة محمد:

- وجهة نظر لابد من أخذها في الاعتبار، هيا بنا.
- إلى أين؟
- إلى منزل أهل سوزي، أقصد سنية.

خرجا معا متجهان نحو حي السيدة زينب حيث يسكن أهل القتيلة، وجدا والدها يجلس كعادته أمام المنزل حاملاً بين يديه رفيقته الدائمة

(النرجيلة) ينفث مع دخانها همومه ومشاكله، اقترب منه آسر وعرفه بنفسه، فرد عليه الأب بصوت خافت يشوبه الجمود:

- أهلاً وسهلاً.
- أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة..

لم يجب عثمان عن سؤال آسر؛ لذا قرر الأخير أن يباغته بالدخول في صلب الموضوع مباشرة، ويرى ردة فعله، في نفس اللحظة التي وصل فيها صابر، ووقف بجوار والده صامتا، وقد عقد ذراعيه أمام صدره:

- وصلتني معلومة عن وجود خلافات حادة بينك وبين ابنتك، وأنك قمت بطردها من المنزل عدة مرات.

أجابه صابر قبل أن ينطق والده:

- كل المنازل يحدث بها خلافات، وكثيرا ما يغضب الآباء من الأبناء.

ضحك آسر، وهو يجيبه:

- نعم.. ولكن ليس كل الآباء يقدمون على قتل أبنائهم..

قاطعه الأب صارخا بغضب، وقد رفع حاجبيه:

- ما هذا التخريف؟ وهل تظن أنني قتلت ابنتي؟!

تقبل آسر إهانته دون أن يبدي أيَّ ردة فعل ليكمل:

- توجد أيضا مقولة (قطع الغصن المريض أفضل لحماية الشجرة).
- أنا لم أقتلها، كيف أقتل ابنتي ثم إنني لا أعرف كيف أستخدم السلاح الناري؟!
- أريد مقابلة باقي أفراد عائلتك.
- يكفي ما أصابنا، وما نالته أسرتي من هذه الفتاة، ابحث عن القاتل في مكان آخر، لن تجد ضالتك هنا.
- إلى الآن أنا أتعامل بصفة ودية، فلا تجعلني ألجأ إلى طريق القانون؛ لأن في هذه الحالة سوف تحضر أنت وعائلتك للتحقيق في قسم الشرطة، تستطيع سؤال ابنك عن القسم، وما يتم فيه أثناء التحقيق؛ هو عليم بتلك الأمور؛ ويعرف كيف نستخرج المعلومات، أليس كذلك يا صابر؟

نظر عثمان إلى ولده ليجده يؤكد كلمات آسر بعينيه، فلم يجد حينها سبيلا سوى الرضوخ إلى طلبه.

أشار له عثمان بالدخول إلى المنزل خلف ابنه، ثم تبعهما بينما محمد اتجه نحو المقهى المقابل للمنزل ليجمع بعض المعلومات؛ ما إن نزل

آسر إلى ذلك البدروم الذي تقطن فيه عائلة عثمان حتى سعل من تلك الرائحة التي اقتحمت صدره وأنفه..

نادى صابر على والدته وأخته فاطمة بينما شقيقتاه (أمل وابتسام) كانتا خارج المنزل..

اقترب آسر من تلك السيدة ضعيفة النظر التي تتشح بالسواد، دققت في ملامحه، ثم سألت ابنها عمَّن يكون؛ فهي لا تعرف صاحب هذه الملامح.

- سامحها؛ فنظرها ضعيف؛ بسبب هذا البدروم وعدم دخول الشمس له.
- هذا آسر بيه يا أمي، الضابط المنوط بالتحقيق في حادث قتل سنية.

بمجرد ذكر اسمها ظلت تبكي وتولول على فقدانها، اقتربت منها فاطمة تهدئ من نحيبها:

- يكفي يا أمي.

ربت آسر على يدها بحنان قائلا:

- ادعي لها بالرحمة؛ فهي تشعر بكل شيء.

مسكت يده محاولة تقبيلها؛ لتستعطف قلبه، وهي تردد بحروف متعثرة:

- أريد رؤيتها، أريد أن أضمها، خذني إليها.

سحب يده سريعا قبل أن تقبلها، وهو يقول في تأثر:

- أعلم مدى اشتياقك لها، لكن الإجراءات لم تنته بعد، سوف أعمل على تسريعها بقدر استطاعتي، لكني أريد الآن أن أعرف متى التقيتِ بها آخر مرة؟

أخذت نفسا عميقا حبسته بين رئتيها لتخرجه ببطء، وكأنها تلفظ معه الماضي وذكرياته من داخل حجرة مظلمة غلفتها الأتربة والغبار، سعلت عدة مرات ارتجف جسدها على أثره قدمت لها فاطمة الماء، شربت ثلاثا حتى هدأ صدرها لتجيب:

- آخر مرة رأيتها يوم نجاح شقيقتيها (أمل وابتسام)، حضرت يومها ومعها العديد من الهدايا، كانت فرحتها عارمة يومها، لكن عثمان أطفأ فرحتها وطردها قبل أن أحتضنها، خرجت مهانة تبكي قسوته، لم أستطع أن أطيب خاطرها.
- لا تنكأوا جروح الماضي؛ فهذا لن يفيد.

قالها عثمان ليسكت زوجته، سكت لسانها لكن عينيها ظلت تبكي، شعر آسر بالأسف نحوها، رفع عينيه نحو فاطمة، لكن جمود ملامحها جعله يسألها:

- كيف كانت علاقتكما؟ فأنتِ شقيقتها الكبرى، ومن المؤكد أن بينكما الكثير من الذكريات.

هزت كتفيها، وهي ترد عليه في برود:

- لا شيء، الطبيعي بين الأخوة.
- لكنني لا أري ذلك.

سألته: ماذا تقصد؟

- أي شخص طبيعي في مكانكِ كانت حالته لن تختلف عن حالة والدتكِ أو أكثر، لكن ما أراه الآن وجها ثلجيا اختفت منه كافة المشاعر، وكأن موتها جاء في صالحكِ.

برزت عروقها، تخضب وجهها غضباً مما قاله:

- وما مصلحتي في موتها؟!
- أين كنتِ يوم وفاتها؟
- كنت أعمل في إحدى الفيلات؛ لمساعدة زوجي على معايش الحياة.

- أين تقع تلك الفيلا؟
- بالتجمع.
- متى آخر مرة قابلتِ فيها شقيقتك؟
- يوم نجاح ابتسام وأمل.
- هل قابلتها بعد ذلك؟
- لا.

صمت آسر بضع لحظات، ثم وجه كلامه لعثمان:

- أريد مقابلة ابنتيك (أمل وابتسام).
- أمل في الكلية، وابتسام في المدرسة.

وجه آسر كلامه لصابر وعثمان: فور عودتهما عليكما إحضارهما إلى القسم وإلا سوف أصدر أمرا بالقبض عليهما.

أومأ كل منهما بالموافقة، غادر آسر ليجد محمد يهرول نحوه مسرعا:

- هيا بنا.
- إلى أين؟
- المشرحة...

علا حاجباه، وضيَّق عينيه مستفهماً:

- لماذا؟ هل حدث شيء هناك؟

- دكتور حاتم اتصل، وطلب منا الحضور فوراً لأمر هام.

انتابه الفضول فور هذا الطلب:

- ترى ماذا حدث؟ وما سبب هذا الاستدعاء؟

دقائق قليلة وصلا بعدها إلى المشرحة، واتصل محمد بحاتم ليخبره أنهما بالخارج في انتظاره.. من خلف البوابة السوداء خرج شاب في أوائل الأربعينات، متوسط القامة، يرتدي نظارات طبية، وبالطو أبيض، خالط الشيب ليل رأسه مما أضاف له المزيد من الوقار والجاذبية، حينما يبتسم تظهر لديه غمازات تزين وجنته وتجعله يشبه الأطفال، ألقى السلام عليهما، ردا السلام ليبادره آسر مستفهماً:

- أهلاً دكتور حاتم، ما هو الأمر الهام الذي طرأ وجعلك تستدعينا بهذه السرعة؟

ابتسم في وجهه محدثا:

- تفضل بالداخل، سوف أريك كل شيء.

ما إن دخلوا إلى المشرحة حتى شعر محمد ببرودة وغثيان، لذا طلب من آسر أنه سينتظر بالخارج، ضحك من ردة فعله فبرغم كل ما مرا به معا، والعمل في العديد من القضايا، إلا أنه لا يستطيع البقاء بداخل المشرحة فهو يشبه طلبة كلية الطب عند حضور أول يوم لمحاضرات

التشريح، تركاه ثم دلفا إلى الداخل بعدما دق حاتم ثلاث وألقى السلام، ما إن وطأت أقدامهم تلك الأرضية حتى غزت رائحة الفورمالين أنوفهما، اقترب حاتم من تلك الطاولة الرخامية التي توجد على يمين الباب حيث جثمان سوزي:

- بالأمس راودني إحساس غريب بوجود شيء تريد الجثة إخباري به.

ظن آسر أنه أصيب بالجنون لكثرة تعامله مع الجثث والأموات أو مسه جن، فهم حاتم ما يدور بداخل رأسه، فردَّ عليه ضاحكا:

- لا داعي للقلق؛ فأنا لست بمجنون، عملي في التشريح جعل الجثث تتحدث إلى وتبوح لي بأسرارها عن طريق إشارات، وهذه الجثة تخفي بداخلها سرا كبيرا.
- عن أي سر تتحدث؟

اقترب حاتم من الجثة الممددة أمامه علي تلك الطاولة الباردة، ثم وضع يده على رحمها قائلاً:

- هنا يكمن السر.

علا حاجبا آسر، وفغر فاهه قائلا:

- هل تقصد أنها كانت حاملا؟

- نعم.
- ترى هل كانت تعلم سوزي بهذا الحمل، ومن والد هذا الجنين؟ من المحتمل أن يكون والد هذا الطفل هو الجاني، أريد منك أن تأخذ عينة من حمض الطفل النووي وتحللها.
- أكيد.
- متى تستطيع عائلتها استلام الجثمان؟
- بعد غد.

شكره آسر ثم غادر، وتركه ينهي عمله، سأله محمد:

- ما هو الأمر الهام الذي أخبرك به دكتور حاتم؟
- لن تصدق، سوزي كانت حاملا قبل أن تقتل.
- ماذا تقول؟ ومن والد هذا الطفل؟ مؤكد أنه سيكون مفتاح لحل ذلك اللغز..

قاطعه آسر قائلا:

- حتى الآن لا أعرف من هو؟ لذا علينا مراجعة كافة الأسماء والعلاقات الخاصة بسوزي؛ والآن هيا بنا لمقابلة تامر.

أمام عمارة الإيموبيليا الشهيرة وقف كلاهما يستفسران عن رقم الشقة التي يسكنها هذا الممثل، توجها نحو المصعد وصولا للدور

الخامس، رن محمد الجرس ليفتح الباب رجل كبير في أواخر الخمسينات يرتدي زاي أبيض كأفلام الخمسينات، سأله آسر:

- أريد مقابلة الأستاذ تامر فؤاد؟
- هو نائم الآن.
- أيقظه؛ هناك أمر هام.
- مَن حضرتك؟
- مقدم آسر جمال.

تركهم، ثم عاد بعد دقائق يخبرهم:

- تامر بيه سوف يحضر بعد قليل، ماذا تشربان؟
- شكراً، لا نريد شيئا.

جلسا ينتظراه، دار آسر ببصره في المكان، وهو يتابع صور ذلك الفنان التي تملأ الحائط، الجوائز التي نالها خلال مسيرته الفنية، عاد العجوز يحمل بين يديه صينية من الفضة يعلوها كأسان من العصير، قدمهما، ثم غادر في صمت، خرج من الداخل شاب طويل القامة، يتعدى طوله المتر وسبعين سنتيمتر، يهتم بجسده ولياقته البدنية كثيرا؛ لذا يهوى إظهار عضلاته أمام الشاشات؛ فقد خصص ركنا بمنزله مكتظا بالمعدات الرياضية التي تساعده على هذا، شعره زاحف للخلف قليلا،

لكن هذا لم يؤثر على شعبيته ولا إعجاب الفتيات به، يحمل بين يديه كأس من العصير، اقترب من آسر يحيه ويسأله:

- كيف أستطيع مساعدتك؟

بادله التحية، ثم سأله مباشرة:

- هل تعرف سوزي سالم؟ وما علاقتك بها؟
- سوزي زميلة وفنانة متميزة، جمعتنا بعض الأعمال والمشاريع الفنية، لكن هل لي بسؤال ما سبب كل هذه الأسئلة؟
- من الواضح أنك لا تتابع الأخبار، سوزي وجدت مقتولة داخل فيلتها الخاصة.

ارتجفت يداه عندما سمع الخبر فسقطت بعض قطرات العصير على قميصه:

- أعتذر منك، كان لدي تصوير بالخارج ولم أتابع الأخبار.
- متى آخر مرة رأيت فيها سوزي؟
- منذ شهر تقريباً.
- ما طبيعة العلاقة التي تجمعكما؟
- علاقة عمل وصداقة فقط.

نظر له آسر ضاحكا:

- لكن الأخبار التي تملأ الصحف تقول غير ذلك.
- الصحافة والأخبار شغلها الشاغل تضخيم الأمور.
- سوف يتضح كل شيء.

قالها آسر بصوت خافت حتي لا يسمعه تامر:

- أين كان موقع التصوير؟
- في العين السخنة.
- ومتى عدت من هناك؟
- فجر اليوم.

شكره آسر، ثم غادر مع صديقه، داخل السيارة سأله محمد:

- لِمَ لَمْ تخبره بأمر حملها؟
- حتى تظهر الحقيقة يجب إخفاء بعض الأمور، وندع الجميع يتعاملون بطبيعتهم دون حذر، أريد سجل مكالمات سوزي.
- تمام.

عادا معاً إلى القسم ليجدا فؤاد في انتظارهما ومعه مفاجأة.

******

(الفصل الرابع)

فتح تامر هاتفه عابثاً ببعض الأزرار حتى ظهر أمامه ملف مخفيا مغلقا برمز، نقش حرفه لفتح هذا الملف، ثم جلس على كرسيه الهزاز، أرجع رأسه للخلف، وبدأ يقلب في صورها التي احتفظ بها منذ بداية ظهورها، فقبل أن يصبح زميلها كان أحد معجبيها، كم عشق سحر عينيها وبريقهما الساحر، تذكر أول يوم جمعهما عندما تقدم مع العديد من أمثاله للمشاركة في بطولة فيلم جديد أمامها، تقدم للاختبار العديد

من الشباب منهم مَن أراد مقابلتها فقط، والتأكد من أنها حقيقية كما تظهر في السينما والتلفزيون، وليست دمية من الألوان والحلوى، والبعض الآخر كان يمتلك الموهبة ويريد فرصة ليكشف عن قدراته، غادر منزله متجهاً إلى الاستوديو الذي يقام به تجارب الأداء، تأنق لهذا اللقاء كما البعض، في موقع التصوير وجد آلاف المتقدمين، حرارة الجو العالية وأشعة الشمس الحارقة كادت تفقده الأمل في المشاركة، تصبب العرق من أعلى جبهته فوضع تلك الأوراق التي قام مساعد المخرج بتوزيعها عليهم فوق رأسه؛ لتحميه قليلاً من أشعة الشمس، مرت الساعات غادر فيها البعض خالي الوفاض- بلا عقود، دون رؤيتها- قبل أن يتملك اليأس منه ويغادر مثل مَن سبقوه نادى مساعد المخرج باسمه حيث حان وقت تقديم أدائه أمام الكاميرا.. تقدم نحو المخرج بخطوات حاول أن يجعلها ثابتة، سأله المخرج:

- هل حفظت المشهد جيداً؟
- نعم.
- لنرى أداءك.

أغمض عينيه للحظات، أخذ نفساً عميقاً؛ ليهدئ من حاله؛ ويبث الثقة بنفسه، ما إن فتح عينيه حتى بدا شخصا مخالفا لنفسه، وكأن شيطانا تلبسه، أو أنه وُلد داخل أستوديو، برقت عيناه ببريق أذهل عقولهم جعل

الجميع يصفق له ويشيد ببراعته ما أن أنهى المشهد، راهن المخرج جميع الحضور بأنه سيصبح فتى الشاشة الأول خلال مدة قصيرة، وأن صورته ستتصدر أغلفة المجلات وأفيشات الأفلام، طلب منه الانتظار قليلا، كانت السعادة تقفز من عينيه؛ فالتمثيل حلمه منذ الطفولة، اتصل بها المخرج ليخبرها أنه وجد شريكها الجديد في الفيلم:

- سوف أحضر حالاً.

بدلت ملابسها، واتجهت إلى الاستوديو، دلفت كالغزال المتبختر بحسنه، كانت مع كل خطوة تخطوها تأسر آلاف القلوب، ترتدي تنورة قصيرة من الجلد الأسود تكشف عن ساقيها المرمريين، تعتليها بلوزة من اللون الوردي، شعرها المُسدَل على كتفيها أكمل طلتها البهية، رفعت نظارتها الشمسية فوقه لتظهر سحر عينيها، جلست بجوار المخرج واضعة ساقا فوق أخرى، تقدم نحوهما تامر بعدما أشار له المخرج:

- أقدم لكِ بطل الفيلم الجديد (تامر فؤاد).

نظرت له بابتسامة خلابة مصافحة إياه، طلب منهما المخرج تأدية المشهد معاً، وقف أمامها وهو ينظر بعمق داخل عينيها، تقلصت المسافة بينهما، لم يعد يفصلهما سوى خطوة واحدة، رفع يدها اليمنى ثم وضعها على قلبه:

- هنا موطنكِ، لن يستطيع أحد إخراجكِ منه، ولن يسكنه غيركِ..

رفعت عينيها لتقابل عينيه:

- لكن والدي يرفض تلك العلاقة كما والدك.
- من اليوم لن يقرر أحد مصيرنا، سوف نخط مصيرنا بأيدينا، خلافاتهم تخصهم فقط، لن نحمل وذرهم؛ فقلوبنا خُلقت للحب والحياة.

ضمته، وعيناها مترقرقه بالدموع:

- لكن والدي أقسم أنه سيقتلك إن اقتربت مني.

احتضن وجهها بكفيه، وهو يمسح تلك الدموع ليطمئنها:

- يفعل ما يشاء؛ فأنا لن أبتعد عنكِ، وإن أراد قتلي فسعادتي تكمن في أن ألقى حتفي بين ذراعيكِ.

وضعت يدها على فمه؛ لتمنعه من الحديث، أمسك يدها بحنان ليضعها على قلبه كما وضع يده على قلبها، فانتفض جسدها جراء لمسته الدافئة:

- كلانا يسكن هنا، ولن نفترق حتى الموت.

ثم ضمها إلى صدره؛ لتسمع دقات قلبه، وهو يطبع قبلة على جبينها:

- أحبكِ.

رفعت عينيها لتبادله:

- أحبكَ.

صفَّق الجميع لهما، حياهما المخرج، ثم قام بالتقاط صورة تذكارية تجمعهما معا..

هنا كانت بداية تعارفهما، جمعهما العمل، تقارب السن بينهما جعلهما صديقين مقربين، وقت حاجتها وحيرتها تلجأ إليه لتأخذ منه النصيحة، عملا معا خمسة أفلام حققت إيراداتٍ ضخمة، ذيع صيتهما على أنهما أفضل ثنائي أنجبته السينما في العصر الجديد، أصبحا مطلب العديد من المنتجين والمخرجين؛ فدرجة التجاذب والتفاهم بينهما تضفي للعمل روح رائعة.

حرك بإصبعه يميناً على شاشة الهاتف لتظهر أمامه صورة أخرى جمعتهما بأحد المهرجانات، كانت ترتدي فستانا باللون الأحمر القاني، رفعت شعرها للأعلى بأنشوطة، ثم أرخت ضفيرتها الفرنسية على جانبها الأيسر، طلتها دائما ما تجذب الأنظار، تصدرت أغلفة المجلات ومواقع التواصل، وهي تتأبط ذراعه تحت عنوان مونيكا بيلوتشي العرب تسرق الألباب، سقطت دمعة من عينيه، وهو يتذكر اتصالها وقتما استنجدت

به حين اختلفت مع فايز، وقام بضربها وإهانتها برغم برودة الجو ألقاها خارج قصره، ولم يهتم بوضعها، تركها ترتجف دون أن يكترث أين ستذهب في هذا الوقت المتأخر، حمل مفاتيح سيارته واتجه مسرعاً نحو قصره، وقف بعيدا كما طلبت منه في الرسالة، وصلت إليه بأقدام مثقلة، ملابسها ممزقة، عيناها تشبه كاسات الدم، فور رؤيته لحالتها المزرية خلع عنه معطفه ليضعه على كتفيها ليمنحها بعض الدفء، ما إن وصلا إلى منزله حتى فتح لها باب السيارة، وقام بمساعدتها للنزول، اتكأت على يده وهي تجرُّ قدميها إلى المصعد، جسدها كان يرتجف، ظلت تسعل، ضمها إلى صدره بقلق، فور وصولهما للشقة أخرج لها ملابس جافة من ملابسه، جهَّز لها الحمَّام ثم تركها تبدل ملابسها، وتحصل على بعض الراحة، آهاتها جعلت القلق يدب بقلبه، قضى ليلته على الكرسي جوارها يتحسس جبينها، يضع لها الكمادات حتى تخف حرارتها، غفا دون أن يشعر، تململ من نومه عندما آلمته رقبته، فتح عينيه ليتأمل ملامحها، رفع بعض الشعيرات الثائرة على وجنتها، مسح حبات العرق المتناثرة على جبينها، انتفض جسده حينما لامست أنامله وجنتها التي تلظى كالبركان، اتصل فورا بالطبيب الخاص به، وطلب منه الحضور سريعاً لأمرٍ هام، بعد الكشف أخبره الطبيب:

- مصابة بحُمَّى شديدة، لابد من تناول جرعات العلاج التي وصفتها لها في المواعيد المحددة، مع تناول العديد من السوائل الدافئة، متابعة الكمادات لحين انخفاض حرارتها.

شكره تامر على سرعة استجابته، وهمس بأنه قائلا بصوت هامس يحمل الكثير من الرجاء:

- أرجو أن يكون أمر حضورك ورؤيتها هنا سريا، لا تخبر أحدا بوجودها هنا؛ فأنت تعرف الصحافة لا تدع أحدا بحاله.
- لا داعي للخوف؛ فأنا طبيبك الخاص؛ وأسرار المرضى لا يجوز الإفصاح عنها.
- شكرا دكتور أحمد.
- العفو، سوف أمر غدا للاطمئنان على حالتها.

طلب تامر من بواب العمارة جلب روشته الدواء من الصيدلية، لغى كافة ارتباطاته خلال الأسبوع فقط ليعتني بها.

- تامر بيه، تامر بيه..

صوت مدير منزله أخرجه من بئر ذكرياته:

- توجد فتاة تريد مقابلتك بالخارج.
- ما اسمها؟

- لم تخبرني باسمها، قالت أنك سوف تعرفها بمجرد رؤيتها.

خرج تامر من غرفته لمقابلة الفتاة المجهولة، فوجئ عندما رأي نرجس أمامه مساعدة سوزي، تعجب من زيارتها؛ فهي لم تزره من قبل، لكنه ظن أنها تريد منه خدمة أو تريده أن يتوسط لها للعمل مع إحدى الفنانات بعد وفاة سوزي:

- أهلا نرجس، كيف حالكِ؟

- بخير...

قالتها، ثم التزمت الصمت، نظر لها مستفهما لمعرفة سبب زيارتها، فهتفت قائلة بما يشبه الهمس:

- أريد التحدث معك على انفراد.

ذُهل من طلبها لكنه وافق، طلب من مدير المنزل إحضار كأس من العصير لها، وأن يغلق الباب خلفه، وهو خارج، ثم هتف بها قائلا في هدوء؛ ليحثها على الكلام:

- الآن أصبحنا على انفراد، أخبريني.. ماذا تريدين؟

- أريد مليون جنيه.

فغر فاهه فور سماع طلبها، ورفع حاجبه، وهو يردد:

- ماذا؟!
- كما سمعت، وسوف أكررها على مسامعك، أريد مليون جنيه.
- ما هذا الجنان الذي تتفوهين به؟! أظن وفاة سوزي أثرت على قواك العقلية؟!

تبدلت ملامحها الهادئة، وضحكت بصوت مجلجل، ولمعت عيناها بالشرر، قبل أن يخرج صوتها من بين شفتيها كفحيح أفعى رقطاء:

- أظن سمعتك تساوي أكثر من مليون جنيه، لكنني قنوعة وبداخلي قلب طيب رؤوف، لذا اكتفيت بمليون واحد.
- سمعتي معروفة لدى الجميع، ما الذي سوف يشوهها حتى أدفع لك كل هذا المبلغ.

جلست على الكرسي الموجود أمامه واضعة ساقا فوق الأخرى، وهي تتحدث بثقة، وكأنها مسكته بالجرم المشهود:

- تخيَّل خبرا صغيرا من فاعل خير يصل للشرطة والصحافة يخبرهم بأنك كنت بفيلا سوزي ليلة قتلها، يا له من خبر رائع مؤكد سوف تبيع الجرائد العديد من الإصدارات بفضل هذا الخبر.

ما إن أنهت كلماتها حتى زادت نبضات قلبه، جفَّ حلقه، هرب بعينيه محاولا إظهار عكس ما يبطن:

- كل هذا لا يخصني، ليلة قتل سوزي كان لديَّ تصوير في العين السخنة، ويوجد شهود على ما أقول.
- لكن تسجيلات الكاميرا تثبت وجودك بالفيلا ليلة الحادث.. وأيضا الضابط المختص بهذه القضية يتمنى أيَّ دليلٍ؛ حتى ينهي هذه القضية، لذا نصيحة مني أسرع في دفع المبلغ قبل أن أخبره بما يوجد بكاميرات المراقبة.

أنهت كلماتها، ثم حملت حقيبتها مغادرة، بينما هو ظل بين المطرقة والسندان لا يعرف كيف يتصرف، أو يفكر في هذه المعضلة!

******

وصل آسر ومحمد إلى قسم الشرطة ليجدا فؤاد ينتظراهما داخل المكتب حاملا بين يديه كوبا من الشاي الساخن، وبجانبه بسكويت يحمل الواحدة ويضعها بداخل الكوب حتى تتشرب من الشاي، ثم يضعها مسرعا داخل فمه قبل أن تسقط ذائبة من نعومتها.

- ما كل هذا الدلال؟

قالها آسر، وهو يحمل واحدة من البسكويت، ويفعل مثله، نظر له فؤاد ليخبره:

- أشعر بالجوع، طلبت بيتزا، لكنها لم تحضر بعد، سوف أقاضي فتى التوصيل، هل أحضر لك معي؟
- بالتأكيد، أخبرني الآن ما الأمر الهام الذي وجدته داخل كاميرات المراقبة.
- سوف أخبرك، لكن دعني أتناول طعامي أولا، فمَن يعمل معك لا يذق النوم أو الطعام.
- أخبرني الآن حتى تحضر البيتزا.

تأفف فؤاد ضجرا من إصرار آسر؛ فهو يعرف أنه لن يدعه يهنأ بتناول طعامه، فرفع كفيه للسماء، وراح يهمهم ببعض الكلمات غير المفهومة، قبل أن يخفض كفيه ليقول، وقد أعلن استسلامه:

- تُظهر كاميرات المراقبة دخول ثلاثة أفراد إلى الفيلا ما بين الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل والساعة الثانية صباحاً.
- ومَن هؤلاء الزوار؟
- للأسف كاميرا الفيلا وجدت مفصولة، والتسجيلات مفقودة.
- إذا من أين هذه التسجيلات؟

ردَّ فؤاد وهو يلوك قطعة البسكويت داخل فمه:

- من الفيلا المقابلة لفيلتها.

ردَّ آسر:

- أريد تسجيلات الحي كله من أول اليوم حتى لحظة وقوع الحادث، مؤكد سوف نجد ضالتنا بإحداها.

أدار آسر شاشة الحاسوب أمامه ليتفقد التسجيلات بنفسه، ويسجل كافة ملاحظاته، ظل يتابع الشاشة حتى ظهر أول زائر يرتدي معطفا طويلا يغطي كامل جسده، يضع قبعة كلاسيكية تُخفي ملامحه، قدمه اليسرى بها زكة خفيفة يحاول إخفاءها، بعد ربع ساعة من خروج ذلك الزائر، وجد آسر سيدة تحاول المرور من البوابة بحذر، تتلفت حولها جيداً كمَن تخشى أن يلتقطها أحد أو يراها، ترتدي معطفا أسودَ طويلا نسبياً، غطاء رأس بنفس اللون، لم تبقَ طويلا بالداخل، ثم خرجت مسرعة، ثبَّت الصورة فور خروجها، وقام بتكبيرها؛ للتعرف على ملامحها؛ لكنها كانت تلثم وجهها جيدا بوشاح الرأس؛ حتى لا يتعرف عليها أحد..
صرخ محمد الذي كان يتابع معه الشاشة فجأة قائلا:

- انظر، لم تبقَ طويلا، أظن أنها القاتلة.

ضحك آسر على انفعاله مجيباً:

- ولِمَ هي؟ يوجد احتمال أن يكون القاتل الزائر الأول أو زائر آخر غيرهما.

ردَّ فؤاد:

- احتمال ضعيف، وإلا كيف دخلت تلك السيدة إلى الفيلا لو سوزي قُتلت.
- من المحتمل أن تكون معها مفاتيح.
- دعونا نستكمل التسجيلات، ولا نستبق الأحداث؛ فقلبي يخبرني أن هناك مفاجآت أكثر.

تابعوا معاً باقي الفيديو ليجدوا أنه بعد ساعة دخل إلى الفيلا في هدوء شابٌ يرتدي قبعة وملابس رياضية..

- ما قصة تلك الفيلا اليوم، كثر زوارها الغامضون، لابد من وجود كاميرات أخرى، علينا زيارة الفيلا؛ أشعر أن هناك أدلة مخفية.

قالها آسر، وهو يجمع أدواته لمغادرة المكتب، نظر فؤاد إلى الساعة ليجد الوقت شارف على منتصف الليل، تثاءب، وهو يقول:

- لقد تأخر الوقت كثيرا، لا أظن أنك سوف تذهب إلى الفيلا الآن، هيا يا آسر عليك الذهاب لمنزلك والراحة قليلا، ريم أيضا لها حق عليك.

غادروا المكتب، لكن عقله ظل يدور داخل حلقة هذه القضية، بداخله عاصفة يتمنى أن تهدأ وتنتهي، ظن أنه سيجد الراحة والهدوء بين

ذراعي حبيبته عندما يصل إلى المنزل، رسم عدة سيناريوهات لتلك اللهفة التي تستقبله بها كلما رأته، وكيف سيدفن رأسه بين أحضانها ليزيح عبء هذا العمل الشاق، ويستنشق عبيرها؛ ليجدد نشاطه ويستعيد راحته، زفر بقوة فور حضور تلك الذكرى بداخله، ضغط على دواسة البنزين، وما إن وصل إلى منزله حتى وجد ريم تجلس أرضا، وتصرخ من الألم، أسرع يحملها عن الأرض، وهو يسألها:

- ماذا حدث، أخبريني؟
- أشعر بألم فظيع.

حملها، واتجه مسرعا إلى المشفى، وصلا إلى هناك، فوضعها فورا على سرير الكشف لمعاينتها من قِبل الطبيبة، طلبت منه الطبيبة الخروج والانتظار حتى تنتهي من الكشف، أخذ الممر ذهابا وإيابا عدة مرات، وهو يفرك يديه، مرة ينظر إلى السقف، ومرة إلى باب الغرفة، خرجت الممرضة من الغرفة لتخبره أن الطبيبة تريده بالداخل، دلف آسر خلفها إلى الغرفة مسرعا:

- كيف حال ريم؟ ما بها؟

- لا داعي للقلق، هذا الألم طبيعي؛ لأن موعد ولادتها اقترب، سوف نضعها تحت الملاحظة لمدة أربعة وعشرين ساعة، تستطيع الاطمئنان عليها؛ فهي الآن بخير.

نظر نحو السرير ذي الشراشف البيضاء الذي ترقد عليه، قبَّل جبهتها لتفتح عينيها المغمضتين:

- هل تشعرين بتحسن الآن؟
- أفضل، نحمد الله، أظن أن فارسك الصغير يريد القدوم.
- على خير إن شاء الله.
- أنا بخير لا تقلق، عليك العودة إلى المنزل والراحة.
- لا أستطيع أن أتركك وحدك.
- لا داعي للخوف، سوف أنام الآن، وإن شعرت بأي ألم الطبيبة والممرضات بجانبي.

حاول آسر الاعتراض، لكنها استحلفته بمحبتها عنده أن يعود للمنزل، وينال قسطا من الراحة، رضخ لطلبها، وانصرف فهو يشعر بالإجهاد الشديد، وصل منزله على مشارف الفجر، لذا ألقى جسده على الفراش محتضناً ملابس زوجته دون أن يبدل حتى ملابسه.

****

رنين هاتفه جعله يتململ في نومه، وضع الوسادة الجانبية فوق رأسه؛ لكي يمنع وصول هذا الصوت المزعج إلى مسامعه، إلا أنه أبى أن يصمت، لم يجد سبيلا سوى أن يرد على الهاتف:

- أستاذ عصام..
- نعم، مَن حضرتك؟
- أنا فاعل خير، توجد شبكة كبيرة تعمل على بيع الفتيات والإتجار بالأعضاء، ويدير هذه الشبكة رجل أعمال معروف.

اعتدل عصام في موضعه، فاتحا عينيه بقوة:

- ما الدليل على ادعائك؟
- توجد أوراق تثبت ما أقول..
- أين هذه الأوراق؟

ضحك الطرف الآخر قائلاً:

- كل شيء وله ثمنه.
- وما الثمن الذي تريده مقابل هذه المعلومة؟
- عشرة آلاف جنيه.

ذُهِلَ عصام عندما سمع الرقم؛ فهو لا يملك هذا المبلغ، وراح يقول:

- وما الضمان أن هذه المعلومة صحيحة، يجب أن أطلع عليها أولا قبل أن أدفع لك ما تطلب؟
- جهّز المبلغ، وسوف أتصل بك بعد يومين.

أنهى ذلك الغريب المكالمة، ثم أخرج الشريحة من الهاتف، وقام بكسرها حتى لا يستطيع عصام أن يصل إليه، حاول عصام الاتصال بالرقم إلا أنه وجده خارج نطاق الخدمة..

- تُرى مَن هذا الشخص؟ هل حقا يملك أوراقا تثبت ما يقوله؟ أم أنه مخادع يحاول سرقتي كمَن حاولوا قبله سابقا؟

أعدَّ فنجان القهوة الصباحي الخاص به، ثم جلس يراجع كافة الأخبار التي قام بنشرها سابقا عن هذه المافيا، وعن اختفاء العديد من الفتيات تحت ستار زيجات من أجانب وعرب، وبعد ذلك انقطعت أخبارهن عن ذويهن، ولم يستدل لهن عن عنوان، ولا توجد أوراق بأسماء الأزواج في السفارات الخاصة بدولهم، وبعض الأخبار عن جثث وجدت مشوهة، ولم يستدل على أصحابها، مؤكد أن هذه الحوادث مرتبطة ببعضها البعض، وعند الحصول على هذه المعلومة سوف ينكشف مستور هذه الشبكة لحماية فتياتنا.

سجَّل عصام تلك الكلمات داخل مفكرته لتكون نواة حملته الجديدة للقضاء على الفساد، رنَّ هاتفه باسم رئيس تحرير الجريدة التي يعمل بها، فأجاب:

- صباح الخير أستاذ مرزوق.
- صباح الخير عصام، عليك التوجه مباشرة إلى مشرحة زينهم.
- لماذا؟
- وصلتني معلومة للتو أن أهل سوزي سوف يستلمون جثمانها اليوم، أريد تغطية شاملة لهذا الحدث؛ مؤكد أنه سيكون مشحونا بالعديد من المشاعر، وهذا ما يفضله القراء ويثير شغفهم؛ مما سيزيد من عدد الطبعات والمبيعات.
- حاضر أستاذي، سوف أتجه إلى هناك حالاً.

أغلق أوراقه بعدما أنهى المكالمة ليتوجه إلى المشرحة.

(الفصل الخامس)

وقفت أسرة سوزي لاستلام الجثمان، خرج حارس المشرحة من الداخل يطلب إحدى أناث العائلة لحضور الغسل، أرادت فاطمة الدخول بدلا من والدتها؛ خوفاً عليها من هذا المشهد، لكنها رفضت، وأصرت أن تحضر بنفسها، ما إن دخلت حتى شعرت ببرودة تجتاح جسدها برغم ملابسها الثقيلة؛ فهذا المكان يُثير الرهبة والخوف في قلوب أعتى الرجال، فما بالك بقلب أم مكلومة رأت ابنتها مسجاه على طاوله رخامية لا حول لها ولا قوة، اختلَّ توازنها فور رؤيتها، اتكأت على الحائط خوفا من السقوط، اقتربت منها سيدة خمسينية ترتدي الأسود مثلها (المغسلة):

- هل أنتِ بخير؟

أشارت لها بيدها أنها بخير، اقتربت من جثمان ابنتها تلثم وجنتها بقبلة دافئة، بينما دموعها تتساقط:

- آهٍ يا بنيتي، كم تمنيت أن ألبسك الأبيض لزوجك وأجهزك له، لم أكن أعلم أنني سأجهزك لمثواك الأخير.

وضعت يدها تستشعر الماء الموجود بجانب تلك السيدة فوجدته فاترا يقترب للبرودة، طلبت منها أن تحضر الماء الدافئ؛ لأنها تخاف على ابنتها من هذا الماء البارد أن يصيبها بالبرد، نظرت لها وهي تحوقل من كلماتها، ظنت أنها جُنت؛ فهذه جثة لن تشعر ببرودة أو سخونة الماء، لكن لا يوجد ضرر، فوظيفتها جعلتها تقابل كافة أنواع البشر، واعتادت على التعامل معهم، أحضرت الماء الدافئ، وبدأت تغسلها كما ذكر في الشريعة الجانب الأيمن أولا يليه الجانب الأيسر، حممتها كالأيام الخوالي حينما كانت صغيرة، وهي تذكرها:

- هل تذكرين حينما كنت صغيرة، وكنت أساعدكِ في الاستحمام، كنتِ دائما تطلبين مني الرفق والعناية بشعركِ، وها أنا أفعل كما اعتدت، هل تشعرين بأي ألم؟ هل تعلمين؟ لقد توقعت أن تقومي أنتِ بتغسيلي وليس العكس.

اقتربت منها تلك السيدة قائلة:

- يكفي هذا يا حاجة؛ كلنا لها.

نظرت لها بعيون مغرقة:

- لا زالت شابة، لِمَ أخذها الموت مني، لِمَ لمْ يأخذني بدلاً منها؟؛ فأنا عشت من الحياة ما يكفي.

ربتت علي يدها، وهي تقول:

- وحّدي الله؛ إنها أعمار.
- آهٍ يا بنت قلبي، لطالما كنتِ الأقرب إليَّ حتى بعدما هجرتِ عيشتنا لم أنسكِ، كنت أتحسس أخبارِكِ من شقيقاتك، ومن الجيران، كنت سعيدة بنجاحكِ وشهرتكِ، كم تمنيت أن يسمح لكِ والدكِ بالحضور، وأن أزورِكِ حتى أضمكِ إلى صدري كما كنت أفعل عندما تنجحين.

سقطت دموع المغسلة غصباً عنها من هذه الكلمات التي تُقطر قهرا ومحبةً وألما، أنهت عملها، وطيبتها بالمسك، وكفنتها في خمسة أثواب، ثم طلبت من الحارس إحضار النعش، حُملت سوزي لمثواها الأخير، ومن خلفها والدتها التي ظلت تنعي فِراقها، ودموع شقيقاتها التي لم تتوقف؛ فهي كانت العون لهن والمأوى، لطالما أغدقت عليهن بالمال من خلف والدهن لشراء كل ما يحتجن.

أمام المدفن وقف عمارة مكلوم القلب، دموعه تغرق وجهه، أدوا الصلاة وبينهم عصام الصحفي، ثم حملها مع الدفان، ونزلا إلى الأسفل، وقف صابر يسند والده الذي كاد أن يسقط عدة مرات، جلست والدتها أرضاً تؤمن التراب والقبر:

- احفظها بين جنباتك يا قبر، كن أنيسا لها؛ فهي تخاف الظلام، يا قبر خذني بدلاً منها، أو دعني امضى الليلة معها لأساعدها وقت السؤال.

بكى الجميع من تلك الكلمات التي تخرج من فم والدتها، وهي تُقبل تراب القبر الذي تسكنه ابنتها الآن وتوصيه عليها.. غادر الجميع بعدما قدموا التعازي، وواسوا أهلها ماعدا عمارة ظلَّ بجانب المدفن يبكي فراقها، ويدعو لها، وقف عصام يراقبه من بعيد، اقترب منه قليلا ليسمع كلماته وبكاءه على حبّ عمره التي تركته ورحلت بعيداً.

- يا له من عاشق، سيكون حدثا جليلا عندما يعرف السيد مرزوق أن لسوزي عاشقا ولهانا، والأكثر من ذلك أنه زوج شقيقتها.

قالها عصام لنفسه، وهو يلتقط بعض الصور في الخفاء، ثم غادر إلى الجريدة حيث يعمل، بعد ساعة من الكتابة والتجهيز ابتسم عصام، وهو يرى مقاله بين يديه بصورة مشوقة، بدأه بكلمات والدة سوزي ونعيها لها، ثم لمَّح على دموع عمارة وعشقه المخفي، عرضه على رئيس التحرير صفَّق له مشيدا بمجهوده ونجاحه مما دفعه للإفصاح له عن المكالمة التي وردته صباحاً ورغبته في سلفة قدرها عشرة آلاف جنية؛ حتى

يستطيع الحصول على تلك المستندات، والتي من شأنها تحقيق سبق صحفي للجريدة وجعلها الأكثر مبيعاً:

- أنت بارع تعرف كيف تقنعني بوجهة نظرك؛ لذا سوف أمنحك هذه السلفة، لكن إذا كان الخبر غير صحيح فعليك سداد المبلغ بالكامل، والبحث عن وظيفة أخرى.
- موافق.

قالها عصام بكل حماسة؛ فهو متأكد من أن هناك مافيا خلف تلك الحوادث واختفاء الفتيات، لكن هل المستندات صحيحة وتستحق ذلك المبلغ؟

اتصل رئيس التحرير بقسم الحسابات، وأمرهم بمنح عصام المبلغ، ثم اتصل بالمطبعة ليخبرهم:

- أرسلت لك خبرا هاما أريد له مساحة كبيرة بالصفحة الأولي تحت عنوان وداع معشوقة القلوب.

****

تململ آسر من نومه، وهو يشعر بألم يسكن كامل جسده، نظر لحاله وجد نفسه لازال بملابس الأمس، دلف إلى الحمام، وقف تحت الماء الدافئ؛ ليساعده على تجديد نشاطه وإزالة الألم الذي يشعر به، مرَّ

على المشفى للاطمئنان على حالة زوجته، ثم اتجه بعدها إلى فيلا سوزي، وطلب من محمد مقابلته هناك.

وقف أمام الفيلا يتفحص ما حوله وأماكن الكاميرات، دار حول الفيلا وهو ينظر تارة للأعلى وتارة أخرى للأسفل، فحص الأشجار ليجد بابا خلفيا مغطى بشجرة الجهنمية الكبيرة ذات الورود الحمراء، وبين الأوراق وجد شيئا عالقا، اقترب آسر أكثر للحصول عليه فقد كان عالقا بأحد الأسلاك الشائكة التي توجد بجانب أغصان تلك الشجرة الضخمة، أخرج من جيبه كيسا صغيرا، وضع به ما وجده، ثم أكمل البحث.

دخل الفيلا بعد الانتهاء من الحديقة الخارجية، فحص الدور الأرضي وكل شبر بداخله بعيون كالصقر تدل على خبير مخضرم، لكنه لم يجد ما يثير حفيظته؛ حيث لا يوجد به سوى بعض من قطع الأثاث، وغرفة المطبخ التي لها باب يطل على الحديقة الخلفية..

صعد إلى الطابق الأعلى حيث غرفة نومها ومسرح الجريمة، تفحَّص الخِزانة بروية؛ فهو يشعر أن بداخلها سرا ما، صدق حدثه عندما لامس جنبات الخزانة لتكشف له عن سرها المخفي – وجد درجا سحريا– جحظت عيناه عندما فضَّ ما بداخله، خرج محمد من الغرفة الثانية حاملا ألبوما به عدة صور تجمع سوزي وتامر:

- آسر، انظر إلى هذه الصور.

نظر آسر إلى الصور، ثم أشهر بوجه محمد الوثيقة التي وجدها داخل الخزينة السرية، ما إن مرت عيناه على محتواها حتى جحظت، ووجد نفسه يردد:

- ما هذا؟ إذن هو القاتل؟
- حتى الآن لا يوجد إثبات واضح، علينا زيارته أولا، هيا بنا.

قبل أن يغادرا جمع محمد ما وجده داخل تلك الغرفة، ثم رافق آسر في مشواره.

من بعيد وقف أحدهم يراقبهما حتى خرجا من الفيلا، بعدها اتصل برقم سُجّل على هاتفه المحمول باسمها:

- لقد غادرا حالا، ولا يوجد أحد بالفيلا.

أملت عليه المطلوب، ثم أنهت المكالمة، نظر حوله يمينا ويسارا ليتأكد من خلو الحي؛ قبل أن يتحرك، في نفس اللحظة التي ضرب فيها محمد رأسه بيده في عصبية جعلت آسر يسأله عن السبب:

- ماذا حدث؟
- سقط هاتفي داخل الفيلا، علينا العودة لإحضاره.

عاد آسر ادراجه ليجد مفاجأة تنتظره داخل الفيلا.

داخل الفيلا كان ذلك الغريب يبحث عن مراده، في نفس اللحظة التي ترجل فيها محمد من السيارة لإحضار هاتفه، وما أن وطأة قدمه داخل الفيلا حتى شعر بالقلق؛ فقد سمع صوتا بالدور الأعلى، فأسرع إلى الباب، ثم أشار لآسر الذي أقبل نحوه يسعى، وهو يسأله بصوت خافت:

- ماذا حدث؟

أجابه محمد بنفس الصوت المنخفض:

- أظن أن هناك شخصا ما بالفيلا؛ سمعت صوتا بالدور العلوي.

تحركا معا في حذر للقبض على مَن بالداخل، حيث صعد آسر الدرج بخفةٍ حتى لا يُثير حفيظة الدخيل، بينما ترك محمد بالدور الأرضي لتأمين باب الفيلا؛ رأى آسر ظلا لذلك الغريب أمامه على الأرض يقف أمام الخزانة يبحث عن شيء، ردد آسر في أعماقه:

- مَن هذا؟ وما الذي يبحث عنه؟

تحسس آسر سلاحه، وأخذ نفسا عميقا، وهو يتأهب للقبض على ذلك المتسلل، ليعرف حكايته، ومن وراءه؛ علَّه يكون سببا في حل ألغاز تلك القضية التي هو بصددها، والتي تزداد غموضا يوما بعد يوم.. ولكن

وكما يقولون دوما ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن؛ فما أن تحركت قدما آسر خطوة واحدة في اتجاه ذلك المتسلل الذي كان منهمكا بالبحث عن شيء ما داخل الخزينة، حتى رنَّ هاتف آسر، فأسرع المتسلل بالتقاط مسدسه، ولكنه فوجئ بصوت آسر يأمره في حزم، وسلاحه مصوَّب لرأسه:

- لا تتحرك وإلا أرديتك قتيلا في موضعك.. ألقِ مسدسك جانبا، وارفع يدك خلف رأسك، والتفت نحوي ببطء.

انصاع المتسلل لأوامر آسر، وبداخله سؤال يتردد بقوة: كيف سيهرب من هذا الموقف؟

وقبل أن يتردد تساؤله بداخله مرة أخرى، كان قد اتخذ قراره، ودفع آسر على غرة فاختل توازن الأخير، وأسرع يبغي الفرار، وهو يقفز الدرج إلا أنه فوجئ بمحمد الذي كان ينتظره بالأسفل يعرقله، وينقض عليه، مكبلا إياه بالأصفاد الحديدية، وهو يهتف به في حزم:

- مَن أنت؟ وماذا تفعل هنا؟

وقبل أن يرد ذلك الملثم كان آسر قد مدَّ يده، وانتزع القناع الذي يُخفي به وجهه، ليرتد الاثنان للخلف في مفاجأة مدوية حين انكشفت لهما هوية المتسلل..

لقد كان صابر.. شقيق القتيلة..

هتف آسر به في حزم قائلا:

- كيف دخلت إلى هنا؟ وما الذي كنت تبحث عنه؟

التزم صابر الصمت تماما في اللحظة التي كان محمد يتصل فيها بالقسم لإرسال سيارة شرطة مع قوة للقبض على صابر الذي اتخذ من جدار الفيلا متكئا له، وقد استسلم تماما في صمت..

اقترب منه آسر كأسد يستعد للهجوم على فريسته، فارتد على أثر هذا الهجوم صابر إلى الخلف، بينما صرخ فيه آسر بغضب:

- صمتك هذا لن يفيد موقفك، بل سيزيد الشكوك حولك، أيضا سوف تتهمك النيابة بقتل شقيقتك مع سبق الإصرار والترصد، وهذا جزاءه الإعدام شنقاً.

جفَّ حلقه تلقائيا فور سماعه ما سيؤول إليه حاله إن استمرَّ على هذا الوضع، خرجت حروفه مرتجفة كما جسده:

- لم أقتلها، لم أقتلها..

شعر آسر أنه أصاب هدفه، لذا أكمل:

- لا يوجد إثبات واحد على أقوالك، نحن وجدناك داخل فيلتها، وهذا يكفي لتوجه تهمة القتل إليك و...

قاطعه صابر قائلا في وجل، وقد قرر أن يخرج من سجن صمته:

- سوف أخبرك بكل شيء، لكن أرجو منك أن يكون هذا الحديث سرا لا تعلم به الصحافة؛ فهو يخصُّ سمعةَ شقيقتيَّ (أمل وابتسام).

وعده آسر أن يتكتم على الأمر، وأنه سوف يساعده في حالة قول الحق، نظر صابر حوله ليطمئن، ثم استرسل قائلاً:

- بعد حادث قتل سنية، وزيارتك لمنزلنا وسؤالك عن شقيقتيَّ، واجهتهما، وادعيت أنك تشكُّ أن إحداهما هي الجانية، فخرا أرضا والدموع تتساقط أنهارا من مقلتيهما، وأخبراني أن لديهما صورا في الفيلا وأغراضا؛ لذا خفت أن تقع قدماهما في القضية، وتُشوَّه سمعتُهما؛ فنحن فقراء لا نملك من الدنيا غير سمعتنا وشرفنا، كل يوم كنت أذهب إلى الفيلا، وأحوم من حولها بحرص لأجد مدخلا أستطيع من خلاله الولوج إلى الداخل وجمع صور شقيقتيَّ دون أن يراني أحد، حتى أخبرتني أمل بوجود باب سري كانت تدخل وتخرج منه، وأيضا تملك المفتاح الخاص به، لذا توجهت نحو

الفيلا، وانتظرت خروجكما، ثم دخلت من الباب السري الذي أخبرتني به شقيقتي.. صدقني شقيقتاي كانتا تحبان سنية كثيرا، وكلتاهما تمنت الانتقال والعيش معها؛ للهروب من الحارة ورطوبة منزلنا.

تدخل محمد ليقاطعه مصفقا، وهو يقول بلهجة يشوبها بعض السخرية:

- نفهم من ذلك أن خوفك على شقيقتيك هو الدافع الذي جعلك تقتل شقيقتك الأخرى؟!

صرخ صابر مدافعا عن نفسه:

- لا لم أقتلها، أقسم لك إنني لم أقتلها..
- كل هذا هراء، سوف يثبت الطب الشرعي وجود بصماتك بمسرح الجريمة، وحينها هنيئا لك الإعدام جزاء فعلتك.
- لم أقتلها، لم أقتلها..

ظلَّ يقسم على براءته لكن بلا فائدة..

وصلت سيارة الشرطة، وتم القبض على صابر، واقتياده داخل سيارة الشرطة إلى القسم بعد تعيين حراسة مشددة على الفيلا.

.....

وصل آسر إلى منزل تامر فؤاد ثم قام بالقبض عليه بتهمة قتل الفنانة سوزي سالم.

جلس تامر بجانب قصي في غرفة الحجز بعيدا عن باقي المشتبهين الذين أحاطوه بنظرات بعضها يحمل الشماتة، والبعض الآخر يحمل الفضول، وعيونهم تصرخ بأسئلة عدة: كيف لفنانٍ مشهور مثله أين يكون بينهم في هذا المكان؟!

تذكر اتصالها الأخير، كيف كان الخوف والقلق يملأ صوتها؟ مما جعله يترك كل ما بين يديه، ويذهب إليها فوراً، لازال قلقها الذي سكن حدقتيها عندما رآها ينهش روحه....

اقترب منه اثنان من المحتجزين لمضايقته فدفعهما بعيدا، محذرا إياهما من الاقتراب، صوت صرير باب الغرفة جعلهما يبتعدان عنه بينما عينا تامر تعلقت بالباب، أتى صوت العسكري مناديا باسمه، فأجاب عليه:

- نعم.
- حضرة الضابط يريدك.

خرج من الغرفة ليتجه نحو مكتب الضابط المسؤول.

****

أمام قصر المنتج ورجل الأعمال الشهير فايز الألفي علا زمور سيارة صاحب القصر، أسرع فرد الأمن لفتح البوابة، وهو يحي الجالس بالمقعد الخلفي للسيارة:

- نورت القصر فايز باشا.

أشار له بيده، ثم أكمل سائقه طريقه نحو الداخل؛ تأكد الحارس من عدم وجود أحد حوله، أغلق البوابة الضخمة التي يقوم بحمايتها، ثم دلف إلى غرفته في هدوء؛ حتى لا يثير الشكوك حوله، أخرج من حافظته الجلدية المتهالكة بطاقة صغيرة تحمل اسم آسر ورقم هاتفه، وضع الهاتف على أذنه بعدما طلب رقم الهاتف المسجل أمامه:

- آسر بك.
- نعم أنا آسر، مَن أنت؟
- أنا عرابي حارس قصر فايز بك الألفي.
- هل تذكرت شيئا جديدا؟
- لا يا سيدي، لكن فايز بك عاد اليوم من السفر.

شكره آسر بعدما أخبره بضرورة الحرص وعدم معرفة أي شخص بتواصلهما؛ حفاظا على حياته، أنهى المكالمة، ثم حمل مفاتيح سيارته وأغراضه ليخرج من المكتب، بينما

سأله محمد:

- إلى أين؟ لقد أتى العسكري بتامر من الحجز للتحقيق معه.

أجابه آسر، وهو يهم بالمغادرة:

- فايز الألفي عاد من السفر؛ لذا سوف أذهب إلى قصره، تابع أنت التحقيق معه لحين عودتي.

قالها آسر وخرج مسرعا لوجهته، أدار مقود سيارته، واتجه مباشرة إلى قصر الألفي..

داخل القصر وقف رجل تجاوز العقد السابع من العمر، طويل القامة، عريض المنكبين، يهابه الجميع كما يهابون صاحب القصر، فلا يستطيع أحد إهانته ولا التعامل معه بطريقة سيئة وإلا يكون جزاؤه الطرد، كل مَن بالقصر يظنون أن هناك علاقة قديمة تجمع بينه وبين صاحب القصر، أو أن فايز يفضله فقط لتقارب العمر بينهما؛ لأنه الشخص الوحيد الذي يملك مفتاحي غرفتي المكتب والنوم الخاصتين بفايز الألفي، وهذه علامة واضحة لتميزه عن جميع مَن بالقصر حيث أنه يعتبره حافظ أسراره، لازال يحتفظ بصحته، يسأل ربَّ عملِه:

- أنرت قصرك فايز بك، هل آمر بتجهيز الطعام لك؟

- أشكرك أنور، ولكن ليس الآن؛ سوف أنهي بعض الاتصالات أولا، ثم أتناول طعامي معك.

أومأ أنور برأسه، ثم خرج من غرفة المكتب الخاصة بفايز؛ ليأمر الطاهي بإعداد الأطعمة التي يفضلها فايز بك، استمع الطاهي لكافة التعليمات التي ألقاها أنور على مسامعه، ثم انصرف ليتأكد من باقي شؤون القصر.

اتصل فايز بهنادي التي ما إن رأت هاتفها ينير برقمه حتى تهللت أساريرها لتجيب مسرعة:

- أهلا فايز بك، كيف حالك؟ متى عُدت من رحلتك؟
- بخير، كيف حالك هنادي؟ أخبريني ما هي آخر مستجدات الشركة؟
- كل شيء يتم كما خطط له مسبقا، ولا توجد أية مشاكل، جميع الشحنات سوف يتم تسليمها في الموعد المحدد.
- حسناً، أريدك أن تأتي إلى القصر بعد ساعتين من الآن؛ فهناك أمور طارئة لابد من إنهائها.
- سوف أحضر في الموعد المحدد.

أنهت المكالمة، ثم اتجهت مسرعة إلى غرفتها لتبدل ملابسها، وتستعد لهذا اللقاء؛ فهي تنتظره منذ عدة سنوات، والآن فقط حان الموعد، خلعت عنها ذلك المِئزر الحريري لترتدي فستانا قصيرا من اللون الأسود يتماشى مع نتوءات جسدها، صففت شعرها لينزل على ظهرها كموج البحر الهائج، وضعت بعض المساحيق التجميلية لتبرز عينيها، ألقت نظرة نهائية على مظهرها أمام المرآة، ثم وضعت من أحمر الشفاه وذلك العطر الفرنسي، أرسلت قبلة لانعكاسها، ثم غادرت لقصر الألفي..

وصل آسر أمام القصر، ثم ترجل من سيارته، ليطلب مقابلة صاحب القصر، سأله فرد الأمن الخاص بحراسة البوابة:

- مَن أنت؟ وما سبب الزيارة؟ فايز بك مشغول الآن، ولا يستطيع مقابلة أحد.
- آسر جمال، من المباحث، وأريده في أمر لا يحتمل التأجيل.

طلب منه الانتظار؛ حتى يسأل صاحب القصر عن رأيه عن طريق الجهاز اللاسلكي الذي يحمله، لحظات جاء بعدها الرد بالسماح له بالدخول، دلف آسر للداخل بخطى بطيئة متأملاً ذلك العالم الكبير، فهو قابل أنواعا عدة من البشر، لكن أمثال فايز من الصعب مقابلتهم وجهاً لوجه، ضحك في نفسه على كل تلك المسافة التي قطعها لكي

يصل إلى باب القصر؛ فقد مرَّ بمسبح كبير تحاوطه المساحات الخضراء من الجانبين، على يمين المسبح توجد سبع سيارات من أحدث الفئات، تقف بكل شموخ تحت مظلة لتحميهم من الشمس والأتربة بجانبهم حارس مسؤول فقط عن نظافتهم، على الجانب الأيسر توجد مظلة كبيرة تحاوطها عدة مقاعد مبطنة ومقاعد أخرى تشبه الأسّرة تُستخدم عند الخروج من المسبح.. قابله أنور على باب القصر ليرحب به:

- أهلا بك، فايز بك في انتظارك.

قاده أنور إلى غرفة المكتب الخاصة بفايز، ثم انصرف لمتابعة عمله، داخل غرفة كبيرة أبعادها خمسة أمتار في خمسة أمتار تتوسطها ثريا أعمدتها من الذهب برغم شعاع الشمس البسيط الساقط عليها إلا أن ضياءها يخطف الأبصار، تتدلى منها عناقيد الكريستال كحبات العنب، بها نافذة تطل على حديقة القصر، بجوارها يوجد مكتب كلاسيكي كبير على واجهته نقش حرفي (A–F) من الذهب، كما طُعمت حوافه الأربعة ببعض الزخارف الذهبية، على يمين النافذة توجد مدفأة تشبه المدفأة الموجودة بفيلا سوزي، أمامها كرسيان كلاسيكيان، يجلس فايز على أحدهما ينفث دخان سيجاره الكوبي ببطء، بدأ آسر الحديث بدءا من عثوره على جثة سوزي مقتولة داخل فيلتها وعن شكوكه تجاهه

بسبب الخلافات التي كانت بينهما في الآونة الأخيرة، والتي قامت سوزي على إثرها بالانتقال والإقامة النهائية وحدها داخل تلك الفيلا حتى قُتلت، ضحك فايز فور سماعه حديث آسر، لحظات استعاد بعدها جديته، ليقول له بهدوء، وهو ينفث دخان سيجاره:

- هل تظن أنني قمت بقتلها؟

أجابه آسر بنفس النبرة الساخرة:

- ولمَ لا؟! على حسب معلوماتي هي فضلت عليك شخصا آخر.
- إذا أردت الانتقام منها ومنه لكنت أذقتهما الويل، وجعلتهما يتمنيان الموت لأرحمهما، ولن ينالاه.
- إذا ما سبب اختفاءك المفاجئ بعد الحادث؟
- سافرت لإنهاء صفقة عمل، ولم اختفِ، ابحث عن القاتل بمكان آخر؛ فهذا القصر لا يسكنه المجرمون.

أنهى حديثه، ثم غادر مقعده ليقف أمام النافذة موليا ظهره إلى آسر الذي كان يتابعه بغضب من رد فعله، التفت نحو مكتبه ليضغط على زر حضر على إثره أنور:

- أمرك فايز بك.
- إذا انتهى السيد آسر من أسئلته عليك بمرافقته إلى باب القصر.

خرج آسر عائدًا إلى قسم الشرطة، وقد استشاط غيظا، أدار سيارته متجها إلى القسم وهو يضرب مقود السيارة عدة مرات لينفث عن غضبه من تصرف فايز.

بالرغم من جمود فايز ومقابلته الجافة لآسر إلا أنه لم يستطع التحكم بأعصابه بعد مغادرته، ألقى بكل ما يسكن المكتب أمامه، وهو يصرخ:

- غبية، لولا تهورها ما نالت هذا المصير.

أرخى رابطة عنقه بعدما ألقى بجسده على المقعد الموجود خلفه من شدة التعب، اقترب منه أنور ليخبره بحضور هنادي، شكرت أنور ثم اقتربت من فايز لتخفف من توتره، وضعت يدها بحنان على كتفه وهي تدلكه، استكان لملمسها، وهدأت ملامحه تدريجياً، ظنت أنها ألقت عليه تعويذة سحرها، وأنها سوف تحصل على مرادها، اقتربت من أذنه تهمس بصوت يشبه فحيح الأفاعي:

- عليك أن تنساها، وتفكر في المستقبل، سوزي من البداية لم تكن تستحقك، انظر حولك ستجد مَن يهتم لأمرك، ويحبك منذ زمن، لكن غشاوة حبها كانت تعميك.

جذبها من يدها لتصبح أمامه، ارتسمت على شفتيها بسمة بلهاء، وهي تجلس على حافة المكتب قبالته، حرَّك أنامله على بشرتها، أزاح بعض

خصلات شعرها النازحة على وجهها فاستسلمت لتلك اللمسات التي ألهبتها، وأغمضت عينيها وهي تُمني نفسها بأكثر من ذلك، اقتربت منه أكثر، لكنه فاجأها بضغطه على فكها الصغير لتتأوه من الألم، ليهمس بصوت يملأه الغضب والخشونة:

- فايز الألفي يأمر فقط، وعلى الجميع الطاعة، لم يُخلق بعد من يُملي عليَّ ما أفعله أو يظن أنني أصبحت عبدا لأي مخلوقة على وجه الأرض، كلكن حشرات، مَن تحاول مخالفتي أسحقها بحذائي.

أنهى حديثه، ثم دفعها بعيدا عنه بخشونة سقطت على إثرها أرضاً، جحظت عيناها من ردة فعله؛ فهي لم تتوقع منه ذلك، لملمت شتات نفسها وبداخلها بركان على وشك الفوران، لكنها أسرته بداخلها، وهي تتوعد أنها ستنتقم منه ولن تنساها..

مدَّ يده ليساعدها على الوقوف، نظرت نحوه بتوجس فزادت نظرته الآمرة بأن تمد يدها، مدتها بأنامل مرتجفة، فقام بجذبها مرة واحدة لتصطدم بصدره، تمعَّن بعينيها اللتين ترتجفان منه، دقات قلبها التي تعلو كصوت المدافع، اقترب يهمس من جانب أذنها:

- أحبَّ ذلك الشعور كثيراً؛ تبدين رائعة الليلة، عليكِ بتحسين مظهركِ وتبديل ذلك الفستان؛ لأن لدينا عشاء عمل، اصعدي إلى غرفة سوزي سوف تجدين بها ما يناسبكِ.

ثم غادر غرفة المكتب، وهو ينادي على أنور؛ ليساعده في اختيار وتبديل ملابسه.

****

داخل قسم الشرطة بدأ تامر يقصُّ عليهم ما حدث له بعدما شعر أن قلبه ينبض لسوزي بالحب:

- بعد انتهاء الفيلم الثاني لنا شعرت باهتمام من جهتها نحوي، وهذا ما جعل السيد فايز يغضب، وأرسل لي مَن قام بتهديدي ويأمرني بالابتعاد عنها، حاولت لكنني فشلت، عشقها كان قد تملَّك مني، ابتعدت وتركت القاهرة بحجة سفري للتصوير بالخارج، لكن بكاءها تلك الليلة جعلني أفقد صوابي وأعود لها مسرعا تاركا خلفي كل شيء، ما إن رأتني حتى ألقت جسدها داخل صدري، وظلت تبكي وتبكي.. كانت تنتفض من البكاء، ربتُ على كتفها بحنان، وأنا أسألها عن سبب بكائها، خرجت حروفها متقطعة، وهي تخبرني أن هناك مَن يتصل بها ويهددها بالقتل.

سأله فؤاد:

- وما الدليل على كل ما تقول؟ ثم أنها لم تقدم أي بلاغ يثبت صحة ادعاءك.
- وقتها ظننت أنها دعابة سخيفة من إحدى زميلاتها، أو من أحد المعجبين؛ لأنني عندما عاودت الاتصال بالرقم ردت عليَّ طفلة صغيرة.

أعتدل آسر في جلسته ليسأله بترقب:

- هل لازلتَ تحتفظ بهذا الرقم؟
- نعم.
- أين هو؟
- قمت بتسجيله داخل مفكرة بمنزلي.

اتجه آسر إلى الحمَّام الملحق بمكتبه؛ ليغسل وجهه، ويستعيد نشاطه، فتبعه محمد ليسأله:

- هل تظن أنه صادق في هذا الحديث؟
- أشعر أنه يقول الحق، لكن علينا التأكد.
- كيف ستتأكد من ذلك؟
- سوف أذهب بنفسي لأحصل على الرقم.

خرج آسر مصطحبا تامر معه إلى منزله؛ لإحضار تلك المفكرة.

****

داخل منزل عثمان ظلت أمل تجوب الغرفة ذهابا وإيابا في توترٍ ملحوظ، وهي تفرك يديها ببعضها البعض، بينما القلق يتراقص على معالمها، قطعت شقيقتها ابتسام حيرتها، وهي تقول:

- كفى توترا؛ من المؤكد أنه بخير، وسوف يعود قريباً.

نظرت لها أمل ببعض الشك، وقالت بتوتر متزايد:

- أتمنى أن يخطئ حدسي ويعود سالماً.

دلفت فاطمة إلى الغرفة لتجدهما تتهامسان بتوتر، ما إن رأتها أمل حتى جفَّ حلقها، زاغت عيناها، حاولت أن تخفي ما كانت تحمله بين يديها بسرعة قبل أن تلاحظه فاطمة، سألتها فاطمة:

- ماذا تخفين؟ هل ظهرت نتيجة امتحاناتكِ؟

زاد ارتباكها، شعرت أن الهواء يتقلص من حولها، عيناها زاغتا بالمكان، ثم سقطت مغشياً عليها، صرخت ابتسام وفاطمة، اجتمع كل مَن بالبيت فور صراخهما، أول مَن دلف للغرفة كان عمارة، حملها ليضعها فوق فراشها، زاد الارتباك والفوضى داخل الغرفة، أمهم لا زالت تبكي وتنعي

ما أصاب عائلتها، فلذة كبدها لا تستجيب لصوتها، خشيت أن تفقدها كما فقدت ابنتها الثانية، قبَّلت يد عمارة وهي تترجاه أن ينقذ ابنتها، خرج مسرعا ليحضر الطبيب، بينما تسللت ابتسام ببطء وسطت تلك الأجواء المشحونة وأخفت شيئا كان بين يدي أمل تحت الوسادة دون أن يلاحظها أحد، سألهم والدهم بقلق:

- ماذا حدث؟

رفعت فاطمة عينيها عن أختها الراقدة لتجيب والدها:

- لا أعلم، حينما دلفت إلى الغرفة كانت تجوبها في قلق وتوتر واضحين، سألتها ماذا تخفين؟ زاغت عيناها، ثم فقدت الوعي.

مررت ابتسام بعض الروائح النفَّاذة أمام أنفها؛ علها تستجيب، لكن بلا فائدة، فرفضها وخوفها من معرفة أهلها بالحقيقة جعلها ترفض العودة، حبست داخل زنزانة عقلها كانت تسمع أصواتهم، لكن لسانها كُبّل بقيد من حديد، وصل عمارة ومعه الطبيب..

طلب من الجميع ماعدا واحدة الخروج من الغرفة حتى يستطيع الكشف عليها، ظل الجميع قلقين، حتى خرج الطبيب خالي الوفاض ليخبرهم:

- لقد تعرضت لأزمة نفسية جعلتها تفقد وعيها، يجب أن تعرضوها على طبيب نفسي.

خبطت والدتها على صدرها بكفيها، وهي تصرخ:

- هل أصبحت ابنتي مجنونة؟

اقتربت ابتسام منها تحاول تهدئتها، وشرح الموقف لها:

- لا يا أمي، هي تحتاج للراحة فقط.

غادرهم الطبيب بعدما نبههم بعدم تعرضها لأي ضغط؛ حتى لا تصاب بانتكاسة أو تحاول الانتحار.

****

وصل عصام إلى ذلك المكان الذي أرسله له صاحب المكالمة الهاتفية، بحث بعينيه حوله ليجد خلفه مخزنا قديما أغلق منذ فترة؛ بسبب نشوب حريق كبير فيه على بابه قفل كبير وسلسلة من الحديد، آثار الحريق موشومة على جدرانه كتوثيق لما حدث، تلفت حوله يمينا ويسارا متأملا ذلك الفراغ الذي يحاوطه، يبحث بعينيه عن مرامه، نظر إلى ساعة يده وجدها شارفت على الثانية صباحا، تملكه الخوف؛ فإن قُتل في هذا المكان فلن يشعر به أحد، لكنه جازف بحياته لإظهار الحقيقة، جاء من خلفه رجل يضع قبعة تشبه قبعات السبعينيات، كان ملثما بشال فلسطيني يُخفي ملامحه، خرج صوته الخشن ليفاجئ عصام الذي يوليه ظهره:

- هل أحضرتَ المال؟

انتفض جسد عصام تلقائيا إثر المفاجأة، ليجيب بعد أن ازدرد ريقه:

- أجل، أحضرته.
- أين هو؟
- أرى المستندات أولا، وأتأكد منها بعدها تحصل على المال.

وضع يده في جيب المعطف الذي يرتديه ليخرج منه مجموعة من الأوراق، وسلمها لعصام في يده، تفحَّصها بعيون مندهشة؛ فهذه الأسماء وتلك المعلومات كفيلة بقلب الموازين، سحب منه ذلك الغامض الأوراق، وهو يسأله:

- هل تأكدتَ الآن؟ أين المال؟

أخرج عصام من جيبه مظروفا أبيضَ طويلا منتفخا بالعملات الورقية سلمه إياه، ثم استلم المستندات، غادره بعدها الملثم دون أن ينبس ببنت شفه، شعر عصام أنه أمام قضية كبيرة عليه العمل عليها ليظهر الفاسدين، فكَّر أنه لابد أن يطلب المساعدة من أفراد الأمن، لكنه عدل عن تلك الفكرة في اللحظة الأخيرة؛ فحصوله على مثل هذه المستندات سوف يجعله عرضةً للسؤال من أين أحضرت تلك المستندات؟ لذا فضَّل التكتم حتى ينشر الخبر، عاد إلى منزله وبداخله سعادة عارمة؛

فمثل هذا التحقيق الصحفي كفيل لجعله أشهر صحفي؛ مما سوف يزيد من صيته ويعلي من أسهم نجاحه.

****

وصل آسر وتامر أمام عمارة الإيموبيليا في وسط البلد؛ لإحضار المفكرة التي ذكرها تامر لإنهاء هذه القضية الشائكة؛ فرئيسه يريد الجاني بأي ثمن؛ لأنه يرى أن مثل هذه القضايا لا يصح أن يتأخر العثور على الجاني فيها، وإلا أصبحت الشرطة علكة للصحافة، واتهموهم بالموالسة والتخاذل.

صعدا معا إلى الدور الخامس حيث يسكن تامر، فتح لهما مدير المنزل الباب ليُصعق تامر مما رآه؛ فأثاث منزله ملقى أرضاً، بعض أوراقه الخاصة التي كان يحتفظ بها داخل أحد أدراج مكتبه ملقاه أمامه، بعضها على الطاولة التي تتوسط الصالة، والبعض الآخر على الأرض، جحظت عيناه من هذا المشهد، سأل مدير منزله قائلا بذهول:

- ماذا حدث؟ هل أصاب الشقة زلزال أم إعصار؟

تلعثم في الرد قليلاً؛ فهو لا يعرف ما السبب في كل هذا، ليردف قائلاً:

- قبل قليل حضر إلى هنا ثلاثة رجال من المباحث قاموا بتفتيش الشقة...

فغر فاهه مما سمع ليحول نظره إلى آسر بلوم، وهو يسأله:

- لقد أخبرتك بكل شيء، وأتيت معك بنفسي لتسليمك ما يثبت كلماتي، لماذا أرسلتَ أشخاصا يدمرون شقتي؟
- ما هذا الجنان الذي تنطق به؟! أنا لم أرسل أيَّ شخص، وإلا لمَ حضرت معك شخصيا؟

اقترب من مدير المنزل يسأله:

- ما هي مواصفاتهم؟
- رجال ضِخام البنية، يحملون مسدسات بجانبهم وخلف ظهورهم، يرتدون ملابس مدنية، تقدم قائدهم ملوحا أمام عينيّ ببطاقة تعريف تحمل رتبة عسكرية بعدها قاموا بتفتيش الشقة، ثم جمعوا بعض الأوراق والصور وغادروا.

انتفخت أوداج آسر من الغضب، خرجت قذائف السُباب من فمه كالطلقات تصيبهم وتصيب ذويهم، هرول تامر نحو غرفة المكتب ليخرج بعد قليل مطأطئ الرأس، باهت الملامح:

- لقد أخذوا المفكرة، وصور سوزي التي تجمعني بها.

رفع آسر عينيه ليقابل كلماته بعيون تُطلق شذرا قادرا على حرق مَن يقابله، ضمَّ رأسه بكفيه، وهو يضغط عليها؛ علَّه يهدأ ويفكر جيدا، نظر نحو تامر ليسأله:

- مَن يعرف علاقتك بسوزي وأمر التهديد هذا؟

جلس جواره وهو يفكر مغمض العينين ليتذكر، فتح عينيه لينطق:

- لا يوجد غيرها، هي الوحيدة التي تعرف.

التفت آسر بجسده نحوه ليسأله بلهفه:

- مَن تقصد؟

أجابه:

- هنادي.

الفصل السادس

أمام أحد المنازل القديمة الموجودة بحي باب الشعرية الشهير وقف ذلك الملثم يتطلع حوله قبل أن يدلف إلى مدخل المنزل المُعتم متجهاً إلى الطابق الأخير، تعثرت قدماه أكثر من مرة بدرجات السلم المتهالك، يتطلع بحذر إلى أبواب الشقق الموجودة في كل طابق داعياً الله ألا يفتح أحدهم بابه ويراه، حينها لن يسلم من أسئلتهم، ومن الممكن أن ينتهي به المطاف داخل قسم الشرطة، تنفس الصعداء عندما وصل للطابق الأخير، دق الباب الموجود على يسار الدرج ثلاثاً انفرج الباب قليلا، ثم قامت يد بسحبه من الداخل كاد أن يقع على إثرها أرضاً، ما إن رأى وجهها حتى عنفها:

- كدت أصاب بذبحة صدرية جراء فعلتك هذه، لِمَ لم تأتي إلى شقتنا كسابق عهدنا؟

التفتت نحوه لتجلس على فخذه بغنج، وهي تلف يدها خلف رقبته لتكشف وجهه:

- هذه الشقة لا يعرفها أي شخص سوى سوزي، وهي الآن تحت التراب، ولا حتى الشرطة، ونحن الآن لا نريد لفت النظر نحونا.

ضمَّها، وهو يقبل عنقها:

- لمَن هذه الشقة يا نرجس؟

ضمَّت رأسه إلى صدرها المكشوف قائلة:

- شقة والداي، هنا تربيت وترعرعت، أخبرني والدي حين كنت صغيرة أن هذا الحي عاش به الملحن الكبير عبد الوهاب قبل أن ينتقل للعيش بحي الزمالك على النيل، كم تمنيت أن أصبح مثله، وأنتقل للعيش بحي من الأحياء الراقية، لطالما تمنيت أن أحظى بفرصة كما حظيت سوزي حينها كانت تبدلت حياتي.

ربَّت على يدها، وهو يخبرها:

- سوف ننتقل لا تخافي، ولكن هذا المبلغ صغير.

ضحكت وهي تخبره:

- وهل تظن أن هذا ما أخطط له، سوف أطلب مقابل هذه المستندات مليون جنيه.

صُعق عندما سمع المبلغ، وهتف بدهشة:

- ومَن سيدفع هذا المبلغ لكِ؟
- سوف تعرف فيما بعد، الآن علينا أن نشتري بعض الملابس الجديدة، وأيضاً شريحة هاتف باسم مستعار لإتمام الخطوة التالية.

فتحت لفة كانت تضعها على الطاولة المجاورة لتخرج منها روائح شهية، حملت قطعة لحم ساخنة طلبتها من الحاتي قبل قدومه لتغمسها في طبق الطحينة، وتطعمه إياها في فمه قائلة:

- كُل الآن، وسوف أخبرك بكل شيء داخل غرفتنا.

قالتها، وهي تغمز له بطرف عينها ضاحكة بصوتٍ خليع، أكلا معا بنهم حتى شبعا، بعدها مسكت يده متجهة إلى الغرفة المقابلة لباب الشقة، وهو يتبعها كالمجذوب؛ ليقطف شهدها.

****

داخل إحدى الفيلات الضخمة الموجودة بحي الشيخ زايد وقف المحامي الشهير ماهر صفوان بقامته القصيرة، وشعره البني، وعيناه الضيقتان يستقبل كبار الشخصيات الذين قام بدعوتهم لحضور حفل عيد ميلاد ابنه خالد، زينت الفيلا بالكامل من الداخل والخارج بالأنوار التي ما إن أضيئت حتى حولت عتمة الليل إلى نهار ساطع، وضعت على الطاولات هدايا للمدعوين – علبة من القطيفة تحمل بداخلها ميدالية

ذهبية- كتذكار من صاحب عيد الميلاد، على طاولة كبيرة بمنتصف الحديقة وضعت أنواع عدة من زجاجات الخمور بينما كل طاولة وضعت عليها زجاجة من مشروب البراندي، وقف خالد بجوار والده كالطاووس يتباهى بريشه الملون يصافح الجميع بأطراف أصابعه كما علمه والده، لا يشبهه في الملامح، ولا يشبه والدته الإنجليزية ذات العينين الخضراوين، والشعر الكستنائي، والوجه الأبيض، بل يحمل تقاسيم وجه مختلف عنهما؛ فهو حنطي البشرة، عيناه سوداوان، شعره مجعد، يشبه الفتى الأسمر أحمد ذكي، تقدم نحوهما فايز وهنادي ليهنئاه بيوم مولده:

- عيد سعيد خالد.

قدَّم له فايز علبة صغيرة من القطيفة فتحها ليجد بداخلها مفتاح سيارة رياضية من أحدث الموديلات، أسرع للخارج يتأمل لونها الأحمر الصارخ، وصوت محركها، وهو يزأر كأسد حبيس يتمنى الحرية، اجتمع أصدقاؤه حول هذه السيارة الرائعة بعيون منبهرة يطلقون صافرات الإعجاب، تقدم ماهر من فايز ليشكره على هذه الهدية الجميلة:

- شكرا على هديتك.
- خالد مثل ابني، ويستحق السعادة.

قدمت له هنادي هديتها متمنية له ميلادا سعيدا، قبَّل يدها شاكرا، بينما عيناه تتأمل حسنها وتفاصيل جسدها الصاروخي:

- أنرتِ الحفلة هنادي هانم.
- شكرا ماهر بك على مجاملتك الرقيقة.

همس فايز بجانب أذنه ليسأله عن شيء ما، ربَّت على يده مطمئنا إياه:

- لا داعي للقلق؛ سوف يحضر بعد قليل، لقد أخبرني بذلك حارسه الشخصي.

استغل خالد انشغال الجميع بالحفل، اتجه إلى جانب قصي من الحديقة ليبتعد عن الأنظار، وحمل هاتفه متصلا برقم سجله باسم حبيبتي عدة مرات، لكن في كل مرة كان يخبره الرد الآلي أن الهاتف مغلق، زفر بضيق؛ فمنذ سفره بأمر والده وهو لا يعرف عنها شيئا، سأل الجميع عنها فأخبروه أن أخبارها انقطعت منذ سفره، ناداه والده ليخرجه من شروده:

- أين اختفيت خالد؟ الجميع يبحث عنك.
- أنا هنا.
- هيا إذا لنطفئ الشمع.

اتجها معا نحو كعكة عيد الميلاد، اصطف الجميع في دائرة حولها، انطفأت الأضواء وتعالت أغاني عيد الميلاد، بخطى ثابتة تهز الأرض تقدم نحو ذلك الجمع يحاوطه رجاله لتأمين دخوله المهيب؛ أطفأ خالد شمعاته التاسعة عشر وسط تهنئة وتصفيق الجميع:

- عيد ميلاد سعيد خالد..

قالها وسط دهشة الجميع؛ فقبل إطفاء الشموع لم يكن موجودا، لكنه الآن بينهم، من أين أتى أو ظهر، وكأنه يحمل خاتم سليمان بفرقعة إصبع يظهر، وبأخرى يختفي، (شاب أربعيني، ممشوق القوام، كثيف الشعر، وجهه مستدير مائل للحنطة، عيناه سوداء كحيلة، له لحية صغيرة متصلة بشاربه، تضيف له سحرا وجاذبية)

اقترب منه ماهر يصافحه، ويشكره على قدومه:

- أنرت الحفل عزام بك، حضورك اليوم شرف كبير لي.

أومأ برأسه ليشكره، وقفت هنادي تتأمله بدقة من بعيد؛ فهذه المرة الأولى التي تقابله فيها وجها لوجه، سمعت عنه وعن أمواله وشركاته متعددة الأفرع، فهو يعمل في كافة المجالات، البعض يطلق عليه لقب العقرب؛ لأن مَن يقف أمامه يموت أو يختفي، والبعض الآخر يطلق

عليه لقب الزئبق، ذاع صيته خلال الأعوام الست الماضية، انتشرت شركاته بسرعة البرق، أصبحت الأعلى تداولا في البورصات العالمية.

عدلت مظهرها، وفستانها لتبرز مفاتنها، أزاحت شعرها الثائر خلف أذنها والذي يصل إلى منتصف خصرها، تقدمت نحوه بخطى متراقصة كالغزال كفيلة بأن تأسر أعتى القلوب وأشدها، مدت يدها لتسلم عليه، دنا منها يقبلها محيياً:

- كيف حالكِ هنادي؟

فغر فاهها حينما نطق اسمها؛ فقد ظنت أنه لا يعرفها، رسمت العديد من السيناريوهات لتعرفه بنفسها لكنه فاجأها، تداركت الموقف عندما سمعت ضحكته على منظرها، ليردف:

- هل ظننتِ أن عزام عزام لا يعرفك؟ واضح أنني أخطأت حينما اعتقدت أنكِ تستطيعين أن تحلي محل سوزي، وأنكِ تملكين فراسة مثل فراستها.

قاطعت كلماته قائلة:

- لا يوجد خطأ؛ فأنا أفضل منها، تعجبي فقط أنك تعرفني، ونحن لم نتقابل.

ضحك عزام، ليردف:

- الشيطان فقط الذي يشكر في نفسه، ثم إن عزام يعرف كل شيء يخص المحيطين به، وبالأخص مَن يعملون معه.

ابتهجت ملامحها عندما ذكر العمل معه، لتردف قائلة:

- شرف كبير اختيارك لي، ولن تندم عليه قط.
- سوف نرى.

كان يتابع فايز ما يحدث، تقدم نحوهما ليحييه:

- كيف حالك عزام بك؟ وكيف حال الباشا الكبير عزام؟
- بأفضل حال، كيف حالك أنت؟ الباشا الكبير يرسل لك تعازيه.

شكره فايز، انسحب ماهر لمتابعة أمر ما، ثم تبعه فايز، ومن بعده هنادي وعزام، داخل مكتب ماهر اجتمعوا بعيدا عن أعين المتطفلين ليخبرهم عزام بالمخططات الجديدة.

****

عاد آسر إلى منزله غاضباً؛ فاليوم ضاع من بين يديه خيط كان كفيلا بأن يفك لغز هذه الجريمة التي كلما ظنَّ أنه اقترب من حلها وجد نفسه عاد إلى نقطة البداية مرة أخرى، تمنَّى أن يجد ريم إلى جواره؛ ليخبرها بكل ما يعتلي صدره ويرهقه ويسألها ماذا يفعل ويرتب أفكاره بين يديها كما كان يفعل؟ لكنها بالمشفى.

تذكر أنه لم يتصل بها، ولم يمر عليها كما أخبرها، لعن نفسه وسوزي والقضية، أخذ هاتفه ليتصل بها فوجده مغلقا؛ فرغ شحنه دون أن ينتبه، وضعه على الشاحن، ثم اتجه إلى الحمام؛ ليحصل على دش دافئ؛ يساعده على التخفيف من توتره علَّه يهتدي لخيط جديد أو يرتب أفكاره بطريقة صحيحة.

تحت المياه الدافئة عصفت به الأفكار كالأمواج المتلاطمة، مرت أمامه خيوط القضية وملابساتها، وضع بعض الافتراضات للمواقف، وكيفية التعامل معها حتى تذكر كلمة تامر عندما ذكر اسم هنادي، وأخبره أنها كانت تعرف بأمر التهديد وبعلاقتهما، ظل يسأل نفسه:

- ترى هل لها يد بقتل صديقتها؟
- هل وشت بها عند فايز، وهو مَن قام بإنهاء حياتها؟
- هل سفره كان غطاء يخفي وراءه تورطه في هذه الجريمة؟ أم أن هناك شخصا آخر لازال مختفيا؟

ظلَّ يفكر ويفكر، تارة تتراقص أمامه صورة فايز، وتارة أخرى صورة صابر؛ فلكل منهما دافع لقتلها، وهو الدفاع عن الشرف، لكن هل هذه هي الحقيقة؟ أم أن هنادي هي القاتلة لغرض ما بداخلها؟ أم..

قطع رنين هاتفه أفكاره، أغلق صنبور الماء، وخرج مسرعا تتساقط حبات المياه عن جسده الذي يلفه بمئزر من القطن؛ لتجفيفه فور رؤيته لاسم المتصل ارتسمت بسمة على شفاهه؛ فقد كانت حبيبته..

ردَّ عليها معتذرا:

- كيف حالكِ حبيبتي؟ أعلم أنني مخطئ بحقك وبحق طفلنا، لكن عملي..

لم يكمل كلماته حتى سمع صوت صرختها، ثم تلتها عدة صرخات جعلت قلبه يسقط أرضا، ألقى هاتفه وهو يسحب ملابسه ليرتديها مسرعا متجها نحو المشفى، أدار مقود سيارته بأقصى سرعة ليصل إليها، لم يعر اهتماما لسُباب بعض المارة، ما إن وصل إلى المشفى حتى سمع صدى صرخاتها، صرخ بوجه كل مَن قابله متوعدا لهم بالعقاب إن أصابها أي مكروه، اقتربت منه الطبيبة التي تتابع حالتها مهدئة من روعه:

- لا داعي للقلق؛ فهذا طبيعي في حالات المخاض، استعد فطفلك شارف على الوصول.

أنهت كلماتها، وتركته إلا أنه أسرع خلفها ليطمئن على حبيبته، لحظات كانت تكتم صرخاتها وألمها فتتجمع حبات العرق على جبينها كاللؤلؤ

المنثور، ولحظات تفقد قدرتها على التحمل فتصرخ وتتأوه كمَن مسَّه الجن، أو أصيب بماس كهربائي يجعل جسدها ينتفض من شدته، هرول نحوها يمسك يدها لتشد عليها قائلاً:

- لا تقلقي، أنا هنا – أنتِ طبيبة– وتعرفين أن كل ما يحدث طبيعي، أعلم أنكِ شجاعة، وسوف تلدين ابننا بسلام.

رسمت بسمة على شفتيها من بين دموعها لتطلق بعدها صرخة أقوى، طلبت منه الطبيبة الابتعاد حتى تُنهي عملها، أفلت يدها بصعوبة، وقلبه يتمزق بين شعورين متضاربين، أولهما تألم زوجته، والثاني سعادته بقدوم ابنهما المنتظر، أشارت الطبيبة لمساعديها بنقلها إلى غرفة العمليات، ظلَّ أمام الغرفة يتطلع حيناً إلى الضوء الأحمر القابع فوق بابها، وحيناً آخر يسترق السمع؛ علَّه يطمئن وهو يردد كل ما حفظه من آيات القرآن داعياً الله أن يخرجا إليه سالمين، تحسس سرواله ليخرج هاتفه منه حتى يخبر والدته بهذا الخبر السعيد فلم يجده، طرق رأسه بكفه حينما تذكر كيف ألقاه من يده بعدما سمع صراخها، وأسرع إلى المشفى.

شقَّ صمت الردهة صرخة مولوده، سجد على إثرها شكرا لله أمام باب الغرفة، لحظات خرجت بعدها الممرضة لتحضر ملابس الطفل الصغير سألها:

- كيف حالهما؟
- كلاهما بخير، وفي أحسن حال.

أخرج من جيب سرواله مئة جنية، وقدمها لها بشارة المولود الجديد، شكرته وهي تدعو له بدوام العمر والصحة.

بعد نصف ساعة خرجا من غرفة العمليات إلى غرفة مزينة بالبالونات والشرائط الزرقاء، سألته الممرضة عن اسم المولود حتى تدونه على سوار معصمه:

- أمير آسر جمال الدين.

خرجت الممرضة لتسجل الاسم، وتحضر سوار الأمير، اقترب من ريم يُقبل جبينها قائلا:

- حمداً لله على سلامتك يا ريمي، سامحيني تركتكِ وحيدةً طوال اليوم، ولم اسأل عن حالكِ.

مسدت وجنته بحنان قائلة:

- لا داعي للاعتذار؛ فهذا عملك، أخبرني هل أبلغت والدتك بولادتي؛ سوف تغضب إن لم تكن تعرف؟
- بحثت عن هاتفي فلم أجده.

أشارت له عن مكان هاتفها:

- أرجوك أخبرها؛ فهي كانت تتمنى وصوله أكثر منا، منذ وفاة أخيك الصغير وهي تشعر بالوحدة.
- أعرف ذلك؛ لذا اطلقت عليه اسمه؛ ليخمد نيران اشتياقها له.

لمعت عيناه بالدمع حينما تذكر شقيقه الذي فارقهم دون سابق إنذار بعيار ناري غادر من أحد المجرمين.. هتف بها:

- سوف أذهب وأحضرها بنفسي لتقابل حفيدها، لكن أين والدتك لم أرها منذ قدومي؟
- عادت إلى المنزل قبل أن يهاجمني ألم المخاض؛ لتنهي بعض الأمور الخاصة بوالدي وبالمنزل، لم تكن تعلم أن الأمير الصغير سوف يباغتها ويحضر عندما تغادر.

ضحك على كلماتها، ثم غادر ليخبر والدته وحماته بقدوم حفيدهما.

****

مع أول خيوط النهار غادر عصام منزله بعد ليلة طويلة ظلَّ خلالها يعمل على مقاله، ويرتب قرائنه ومستنداته، حتى غزت خيوط الشمس السماء، ما إن وصل إلى مقر الجريدة حتى توجه مباشرة لمكتب رئيس التحرير مقدما له المقال الذي عمل على كتابته، فغر فاهه عندما رأى اسم ماهر صفوان وفايز الألفي وعزام عزام بين المستندات:

- هذه المعلومات غاية في الخطورة، كفيلة بإقامة ثورة تطيح بالحكم وبرجال الأعمال.
- أعلم سيدي، لكنها حقيقية وهذه القرائن والمستندات أكبر دليل على صدق مقالي، في بادئ الأمر كان لديَّ شك تجاههم، بسبب تكرار اسم فايز ودفاع ماهر في أغلب القضايا التي اختفت فيها العديد من الفتيات، لكن الآن أملك الدليل الذي يجعلني أحاربهم دون خوف حتى أقضي على أمثالهم، وأطهر البلد منهم.

اتصل رئيس التحرير بالمطبعة لحجز الصفحة الأولى لهذا الخبر

(مافيا البشر بقلم عصام أمين)

شكره عصام، وهمَّ بالخروج لمتابعة أمر النشر، لكن رئيس التحرير طلب منه الانتظار، قائلا:

- عليك الحذر بني؛ فحياتك سوف تكون على المحك، وفي خطر مستمر بعد نشر هذا الخبر.

ضحك عصام وهو يجيبه:

- أعلم ذلك جيدا، لكن العمر واحد والرب واحد، كما أن والدي ربَّاني على أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وأن الحق لابد من إظهاره واتباعه حتى لو طريقه مليء بالأشواك.
- حفظك الرحمن يا بني وأنار طريقك.
- شكرا أستاذي، سوف أذهب الآن لمتابعة النشر.
- حسنا، بالتوفيق.

خرج عصام وبداخله طاقة أمل كبيرة يرى اسمه ينير الصفحة الأولى، عينا والده الذي يفخر به وبنجاحه، ابتسم السيد مرزوق بعد خروج عصام؛ فهو يذكره بنفسه عندما كان في مثل عمره حيث يمتلك نفس طموحه وشغف، لا يهاب المصاعب، لكنه يخشى عليه طوفان مَن سيحاربهم؛ فالدماء عندهم سهلة للغاية، دعا الله أن يحفظه، ويسدد خطاه.

****

اتصل محمد على آسر عدة مرات، لكن بلا فائدة، نظر إلى الساعة وجدها الحادية عشر صباحا، ولا زال مختفيا، سأل فؤاد عنه فأخبره أنه لم يره منذ الأمس.. انتابه القلق على صديقه، فقرر أن يذهب إلى منزله للاطمئنان عليه، لكنه لم يجده، سأل عنه بواب عمارته:

- هل رأيت آسر بك؟
- خرج منذ الأمس ولم يعد.

توجه نحو المشفى العسكري حيث توجد ريم زوجته علَّه يجده هناك، وحينها صدق حدثه:

- لماذا لا ترد على هاتفك؟
- سامحني بالأمس هاجم المخاض ريم هرولت إلى هنا، ونسيت الهاتف بالمنزل.

قبل أن يرد محمد حمل آسر ابنه، ووضعه بين يد محمد، ارتعد جسده تلقائيا حينما لامس بشرة ذلك الكائن الصغير، نسى سبب قدومه والقضية، ظل يتأمله وهو يدعو له بالسعادة وطول العمر أمَّن كل مَن بالغرفة على دعائه، بينما حملته والدة آسر من بين يديه لتدعهم يكملون عملهم، وتعيده لوالدته حتى تطعمه، قبَّله آسر، ثم غادر مع محمد ليسأله عما حدث:

- ماذا حدث؟ هل هناك مستجدات جديدة بخصوص القضية، فما حدث بالأمس جعلني أفقد كافة الخيوط.
- أولا علينا استجواب بنات عثمان؛ فأنا أشعر أنهن يخفين شيئاً، والا ما كان ذهب صابر إلى الفيلا.

ثانيا: علينا زيارة هنادي واستجوابها.

- هيا بنا إذا لمنزل عثمان، لكن يجب أن أمر على المنزل لأبدل ملابسي، وأحضر الهاتف.
- حسنا، هيا بنا.

خرجا معا من المشفى لمنزل آسر، ومن بعده إلى منزل عثمان بحي السيدة زينب ليسألا شقيقتي سوزي.

الفصل السابع

وصلت فاطمة مع زوجها وأبناءها للاطمئنان على حالة شقيقتها:

- كيف حال أمل اليوم؟ هل استعادت وعيها؟
- للأسف لا، لازالت على حالها.
- أين ابتسام؟ هل ذهبت إلى المدرسة؟
- لا، نائمة بالداخل؛ فهي طوال الليل مستيقظة بجانب أمل.

- حسنا، سوف أدخل لأطمئن عليهما.

تركت والدتها، وبداخلها شك ينتابها لا تعرف سببه؛ فما حدث من أمل يثير الشبهات نحوها، لكن ترى ماذا تُخفي؟

دخلت إلى الغرفة، لكنها لا تعلم من أين تبدأ البحث، وهل ما تخفيه أمل مرتبط أيضا بابتسام؟ أم يخصها هي وحدها؟ هل له علاقة بسنية؟ ظلت تفكر لكنها قررت أن تسأل ابتسام وإن لم تخبرها الحقيقة فسوف تخبر والديها بأن هناك أمرا مخفيا، وتترك لهما التصرف:

- ابتسام.. استيقظي.

تململت من نومها على صوت شقيقتها لتسألها:

- ماذا تريدين يا فاطمة؟ أنا لم أنعم بالنوم إلا منذ ساعة واحدة، اتركيني؛ لن أذهب اليوم للمدرسة.
- لن أدعك تنامين حتى تخبريني بالحقيقة.
- عن أي حقيقة تسألين؟
- ماذا تخفي أمل عنا؟

رفعت كتفيها عاليا نحو رأسها :

- لا أعلم، عندما تستعيد وعيها اسأليها عما تُخفي.
- بل تعلمين وإن لم تخبريني فسوف أخبر والدينا.

اعتدلت في جلستها تتوسل لها:

- لا تقحميني في أمر لا يخصني، أنا لا أعرف شيئا.
- بل تعرفين، ماذا كانت تخفي أمل بالأمس؟ هل رسبت في امتحاناتها؟
- لا أعرف.
- حسنا.. سوف أخبر أمي.
- بالله عليكِ يا فاطمة، لا تخبريها، لن تقوى على استيعاب الأمر.
- هذا يعني أنكِ تعرفين شيئاً.

دمعت عيناها، ثم أومأت برأسها إيجابا، فقالت لها فاطمة:

- إذا أخبريني، ماذا تخفي أمل؟

قبل أن تخبرها سمعت دقات على باب الشقة:

- سوف أعود حالاً.

خرجت فاطمة لتعرف من الطارق، بينما ابتسام ظلت تنظر نحو شقيقتها، وهي تحدثها:

- سامحيني يا أمل، لكن لابد من حل لتلك المعضلة، فبعد وفاة سوزي لن أستطيع أن أثق بأحد غير فاطمة.

فتحت فاطمة الباب لتجد أمامها كل من آسر ومحمد يسألان عن شقيقتيها، خرج والدها يسأل عن الطارق، فأخبرته أنه الضابط المسؤول عن حادث قتل سنية، ما إن سمعت والدتها باسمه حتى خرجت مسرعة تتعثر على وجهها لتسأله:

- هل ألقيت القبض على الجاني؟ هل عرفت مَن حرمني من نور عيني وفرحتي؟

ربَّت على كتفها ليخبرها أن التحقيق مازال مستمرا، وأنه لن يهدأ حتى يعثر على الجاني ويقتص لقتلها، سأله عثمان:

- طالما لم تلقِ القبض على الجاني، لماذا أتيتَ إلى هنا؟
- أريد مقابلة ابتسام وأمل لسؤالهما عن حادث سوزي.

ردت فاطمة:

- أمل مريضة منذ الأمس، كما أن الطبيب أمر براحتها وعدم تعرضها لأي ضغط.
- سامحيني، لكن هذا عملي، ويجب علىَّ أن أنهيه.
- أخبرتك أنها فاقدة الوعي ومريضة منذ الأمس.
- حسناً، سوف أنتظرها.

تأففت فاطمة من إصراره، حاولت أن تثنيه على قراره، لكن بلا فائدة، تدخل محمد قائلاً:

- أعلم أن مصلحة شقيقتيكِ تهمكِ لذا عليكِ مساعدتنا للقبض على الجاني، ثم إن شقيقتيك كانتا تعتادان زيارة سوزي داخل فيلتها، وهذا كفيل بجعلهما طرف في الجريمة، فمن الأفضل سؤالها الآن بدل من سؤالهما أمام وكيل النيابة وتعرضهما للصحافة ومضايقات المخبرين والمذيعين.
- صدقني أمل فاقدة وعيها منذ الأمس.
- حسنا وأنا أصدقكِ، سوف أسأل ابتسام، وعندما تستعيد أمل وعيها سوف أقوم بسؤالها.

اقترب منه عثمان طالباً منه الانتظار حتى يحضر ابنته من الداخل..

- إياك والتلاعب بنا

قالها آسر محذراً، أومأ برأسه في رضوخ، ثم ولج للغرفة حيث ابنتيه، ارتدت ابتسام إسدال الصلاة، وخرجت لمقابلة آسر بأقدام مرتجفة، دقات قلبها المضطربة كفيل بسماعها من يبعد عنها بعشرات الأمتار؛ سألها آسر:

- أين كنتِ ليلة الحادث؟

- بالمنزل.
- متى آخر مرة قمتِ فيها بزيارة شقيقتكِ؟
- قبل الحادث بأسبوع.
- هل نشب أي خلاف بينكِ وبينها؟
- لا.

خرج عمارة من غرفة صابر؛ لأن لديه أمر طارئ داخل الورشة، حملت فاطمة المعطف الخاص به ليرتديه؛ فالجو بالخارج يمطر، ما إن ارتدى المعطف حتى لفت انتباه آسر الذي ترك سؤال ابتسام، وتحول بجسده نحو عمارة الذي يهمُّ بالخروج من المنزل:

- انتظر، مَن أنت؟

اجابته فاطمة:

- إنه زوجي، المعلم عمارة النجار.
- أين كنت ليلة الحادث؟

تلعثم عمارة قليلا، ثم أجاب:

- كان لديَّ بعض الأعمال بحي التجمع.
- ارفع رجل سروالك الأيسر.

سأله عثمان بحيرة:

- هل يوجد شيء يخص عمارة؟
- سوف نعرف الآن.

رفع عمارة سرواله كما طلب منه آسر لتتأكد شكوكه، فقدم عمارة بها جرح كبير حديث نسبياً، سألته فاطمة بضيق:

- لماذا كل هذه الأسئلة، ماذا فعل زوجي؟

أجابها آسر:

- لِمَ لا تسأليه لماذا ذهب لسوزي ليلة الحادث؟

بهتت ملامح الجميع عندما قالها آسر ليردف قائلاً:

- كاميرات المراقبة المقابلة لفيلا سوزي رصدت شخصا في نفس طول زوجك، وللحظ كان يرتدي نفس المعطف، ويملك إصابة بقدمه اليسرى كانت تعيق مشيته، كما هو الآن دلف إلى الفيلا قبل وفاتها.

صرخ عمارة:

- لم أقتلها، صدقيني يا فاطمة.

بتر آسر كلماته قائلا:

- النيابة والبصمات هي التي ستفصل هذا الأمر، لكن الآن أنت مقبوض عليك بتهمة قتل سوزي سالم.

وضع محمد الأساور الحديدية بين يديه؛ ليخرجا معا إلى القسم وسط عويل فاطمة ووالدتها، وصراخ أطفاله، خرجت فاطمة تهرول خلف سيارة الشرطة لتلحق بزوجها، بينما رجال الحارة اجتمعوا من حولها لمنعها من اللحاق بهم والسقوط أرضا، ولمعرفة سبب القبض على عمارة، بدأت كل جارة من الجارات تلقي تخميناً، إحداهن قالت أنه سرق أحد زبائنه لذا تم القبضُ عليه، بينما الأخرى رجحت أنه يتبع تنظيم الإخوان لذا تم القبض عليه، بينما ثالثة أخبرتهم أنه اعتدى على أحد أفراد الأمن لذا تم القبض عليه، علت الهمسات والتساؤلات، اقترب صاحب المقهى المعلم حسني يسألها:

- ماذا حدث يا ابنتي؟ لِمَ ألقت الشرطة القبض على زوجكِ؟

ردت بعيون باكية، وصوت ضائع من الصراخ:

- لا أعلم يا معلم حسني، هو لم يفعل أي شيء صدقني.

ربَّت على كتفها قائلاً:

- لا تخافي يا فاطمة سوف أرسل له محامي ليعرف السبب ويطمئن قلوبنا.

أرادت أن تقبل يده على معروفه، لكنه سحبها قائلاً:

- لا تفعلي هذا، فأنتِ وعمارة مثل أبنائي، كما أن والدكِ عثمان بمثابة شقيق لي، ولم أرَ منه أو منكم أي سوء خلال إقامتكم معنا.

نادى على مصطفى فتى المقهى فلبى النداء مسرعاً:

- أؤمر يا معلم.
- اذهب إلى مكتب الأستاذ عدلي حسان المحامي، وأخبره أنني أريده في أمر هام.
- حمامة.

قالها الفتى، وهو يهرول نحو مكتب المحامي لإخباره بطلب المعلم حسني، بينما عادت فاطمة إلى الداخل تستشيط غضباً، فتحت باب غرفة ابتسام لتجدها متكورة على نفسها تغطي رأسها بكفيها بينما تضم قدميها إلى صدرها كما الجنين تبكي قتل سوزي وغياب أمل عن الوعي ووضعها الذي بين الحياة والموت، والآن فقدان فاطمة لزوجها بينما شقيقها صابر مختفٍ منذ يومين، ولا تعلم عنه شيئا، ظلت الأفكار تعصف بها، قلبها يئن مما يحدث وينبئها بأن القادم أسوأ، ولن يمر مرور الكرام، أغمضت عينيها في محاولة لتهدئ من حالها؛ دخلت

فاطمة الغرفة والشرر يتطاير من عينيها، رفعت شقيقتها المتكورة أرضاً من ذراعيها، وهي تصرخ في وجهها:

- أخبريني الآن ماذا تخفين أنتِ وشقيقتكِ وإلا سوف أخبر أمي.

خرجت حروفها من بين دموعها المنهمرة متقطعة:

- بالله عليكِ لا تخبريها بأي شيء؛ لن تتحمل وقع ما حدث.
- أخبريني ماذا حدث؟
- أمل حامل...
- ماذا؟ ما هذا التخريف؟ كيف؟ ومن والد الطفل؟

دفعت ابتسام بعيدا عنها متجهة نحو أمل الملقاة على السرير تحارب كوابيسها التي تهاجمها منذ فقدت وعيها، لترجها وتصرخ بوجهها:

- من فعل بكِ هذا؟ كيف سمحتِ له بلمسكِ؟

أسرعت ابتسام تمسكها من الخلف لتهدئها:

- اخفضي صوتك، والداكِ بالخارج، إن عرفا فسوف يقتلانها.
- القتل هو الحل لغسل شرفنا، لن أتركها تعيش وينمو بداخلها ذلك الطفل، لن أدعها تحيا، سوف أقتلها بيدي.
- كفى.. أمل متزوجة، كما أن سوزي رحمة الله عليها عرفت، وكانت ستحل الموضوع لولا أنها قُتلت.

- مَن فعل هذا؟ انطقي.

- صديق لها بالجامعة، والده رجل أعمال كبير، هذا كل ما أعرفه.

شعرت فاطمة بغليان في رأسها، لا تعرف ماذا تفعل؟ هل تخبر والديها؟ مؤكد سوف يموتان لو عرفا ما فعلته ابنتهما؟ من تخبر وزوجها تم القبض عليه بتهمة قتل شقيقتها؟ صابر شقيقها مختفٍ: يا رب، العون منك.

نظرت نحو ابتسام لتأمرها: لا تخبري أحدا بأي شيء، ابحثي جيدا بين أغراضها عن اسم ذلك الشاب، يجب أن ننهي هذا الموضوع فوراً.

- حاضر.

صرخة والدتها باسم عثمان جعلتها تخرج راكضة، ومن بعدها ابتسام لمعرفة ماذا حدث؟

وجدت والدها ملقى على الأرض لا يستطيع التنفس، بينما دقات قلبه تكاد تختفي، وجهه شاحب، أسرعت ابتسام بطلب النجدة من رجال الحي ليحملوه ويذهبوا فورا إلى المشفى العام وسط حوقلت الجيران على حال هذه الأسرة المنكوبة التي انقلب حالها بين ليلة وضحاها، فالمشاكل لم تتركهم منذ وفاة ابنتهم، بل أصبح كل يوم تحدث كارثة تؤكد حظهم العسر.

*****

نشرت الجريدة المقال الصحفي الخاص بعصام أمين بالصفحة الأولى كما أمر السيد مرزوق، وبجانب الخبر صورة شخصية لعصام، حمل عصام الجريدة بسعادة لا توصف، قرر أن يحتفظ بها، وأن يعرضها على والده ليسعده بما آل إليه؛ انتشر الخبر كالنار في الهشيم، لم تمر إلا ساعة واحدة وانهالت المكالمات لمنع هذا الخبر، لكن مرزوق رفض ذلك، لحظات وبدأت رسائل التهديد تصله عله يتراجع عن قراره.

وصل عصام إلى منزله والفرحة لا تكاد أن تسعه؛ فهذا السبق الصحفي أولى خطوات نجاحه؛ فمنذ صدور الخبر على الموقع الإلكتروني للجريدة، والأعداد الورقية والعديد من الرسائل تصل له حاملة الدعاء بالتوفيق والنجاح من أصدقائه، أقاربه، من أرقام مجهولة لا يعرف أصحابها، لكن كلماتهم تدل على وجعهم، وفقدانهم لبناتهم دون معرفة مصيرهم، تخطى الدرج مسرعا ليصل إلى والده، فتح الباب وهو ينادي عليه بأعلى صوته:

- أبي، انظر اسم ابنك وصورته يتصدران الصفحة الأولى بجانب أكبر سبق صحفي.

حمل الجريدة بين يديه ليطالع صورة واسم ابنه الوحيد اللذين ينيران الصفحة الأولى، قبَّلها وهو يدعو له بالتوفيق وصلاح الحال، ضمَّه إلى صدره مقبلا رأسه، وهو يدعو له بطول العمر والصحة، ثم استأذن منه أن يدخل غرفته ليرتاح وينال قسطا من الراحة؛ فهو لم ينم منذ ليلة أمس، بدل ملابسه، ألقى بجسده على الفراش ليغط بعدها في سُبات عميق.

رنين هاتفه المستمر جعله يتململ في نومه، يلعن مَن يتصل به في هذا الوقت، وضع الوسادة فوق رأسه لتحجب عنه الصوت، لكن بلا فائدة، رفض المكالمة لكن المتصل أعاد الكرة مرة أخرى، ردَّ بضيق على هذا الرقم المجهول ليصله من الجهة الأخرى صوت جهوري خشن يحذره من الاستمرار في هذا التحقيق، وإلا ستكون العواقب وخيمة، ردَّ عليه بنبرة تحمل الثقة:

- لن أتوقف مهما حدث.
- إذا لا تلم غير نفسك؛ فحياتك وحياة مَن تحب ستكون الثمن.

قالها ثم أنهى المكالمة، حاول يغمض عينيه مرة ثانية، لكن هيهات؛ فقد تملك الخوف من قلبه وعقله، توجه إلى غرفة والده للاطمئنان عليه، لكنه لم يجده، شبَّ الخوف بداخله، ونهش قلبه، بحث عنه بغرف الشقة

كلها حتى وجده يصلي داخل غرفة مكتبه، حمد الله أنه بخير، ثم تأكد من الأبواب والنوافذ، ثم عاد إلى غرفته وبداخله ينوي أن يذهب صباحا إلى قسم الشرطة لتقديم شكوى.

******

داخل قصر الألفي، وقف موليا ظهره لأتباعه، وهو يصرخ بهم:

- أريد أن أعرف الآن مَن سرَّب تلك الأوراق إلى هذا الصحفي؟ أريد الفاعل وأن تنتهي هذه القصة ،وإلا فلن تأمنوا غضبي.

نظر الرجال بعضهم لبعض في قلق، ليردف كبيرهم:

- تحت أمرك فايز بك.

أشار لهم بيده أن يرحلوا، فمنذ الأمس والجميع قلقون، أطاح بكل ما يقابله، حطم صورتها، وهو يصرخ:

- ملعونة يا سوزي؛ حتى بعد وفاتك تتسببين في إثارة المشاكل، ترى لمَن أرسلتِ الأوراق، هل أرسلتها إلى الصحفي مباشرة؟ أم أن هناك شخصا آخر فعل ذلك؟

وصلته رسالة على هاتفه جعلته يستشيط غضباً..(حياتك أمام هذه المستندات)

ألقى هاتفه أرضاً من فرط غضبه، ظل يدور حول نفسه علَّ عقله يصل إلى الفاعل، اتصل بهنادي عدة مرات، لكن هاتفها في كل مرة يضعه على الرد الآلي، اتصل على الهاتف الأرضي أخبرته الخادمة أنها لم تعد إلى المنزل منذ ليلة أمس.

- أين اختفيت أنتِ أيضاً؟

اتصل بماهر يسأله عنها، لكنه أخبره أنه لا يعرف أين ذهبت، أغلق الهاتف، ثم اتصل بأحد رجاله ليخبره:

- احضر فوراً، لقد تذكرت أمرا هاما.

وصل رجله المنشود بعد اتصاله بنصف ساعة:

- أمرك فايز بك.
- أريد نرجس خادمة سوزي، مؤكد هي مَن سرَّبت تلك الأوراق.
- أمرك سيدي.
- فرّق رجالك للبحث عنها، هذا عنوان منزلها.
- حاضر سيدي.
- انتظر، لقد تذكرت شيئا.

أخرج من أحد أدراج مكتبه ورقة قديمة، ثم أعطاها له قائلا:

- ابحث عنها في هذا العنوان أيضا.

- حاضر.

تابع فايز رجلَه، وهو يغادره لتنفيذ الأمر، قبل أن يلقي بجسده –في قوة– فوق مقعده، وكل ذرة بداخله تنتفض من الغضب.

*****

داخل قسم الشرطة، وبالأخص داخل الزنزانة التي يحتجز فيها كل من عمارة وتامر وصابر، جلس كل واحد منهم بزاوية يرمق الآخرين بنظرات نارية يملأها الشك والغضب؛ فكل منهم يظن الآخر هو القاتل..

حاول تامر التحكم في غضبه نحوهما؛ فسوزي أخبرته من قبل كيف كان يعاملها صابر بسوء؛ وأيضاً كم من مرة اعتدى عليها بالضرب، وقام بتهديدها بالقتل.. ترى أهو

–فعلا– مَن حرمه من حب حياته؟ أم ذلك العمارة مجنونها منذ الصغر؟

تمنَّى أن يقبض روحه عندما تذكر ذلك اليوم الذي كان يزور فيه سوزي لمراجعة أحد المشاهد الخاصة بفيلمهما الجديد داخل فيلتها، وقتها زارها عمارة، استأذنت من تامر لبضع دقائق، لكنها تأخرت، ثم علا صوتها مع مَن تتحدث، توجه نحو الصوت ليجده قابضا على ذراعها بقوة، وهو

يخبرها أنه يحبها، وعلى استعداد أن يترك شقيقتها والحارة وكل شيء فقط من أجلها، لكنها نهرته، وقامت بطرده مما دفعه للطمها على وجهها وهو يتوعدها بأنها سوف تندم، وتعود لتقبل قدميه ليقبل بعرضها.

غلت الدماء بعروقه عندما تذكر دموعها المنهمرة، وآثار أصابعه الآثمة تدنس يدها، هبَّ من موضعه ليمسكه من تلابيبه، ويسدد له الضربات قائلاً:

- سوف أقتلك، أنتَ من حرمتني من حبيبتي، لن أعفوَ عنك، لم تتحمل رفضها لك، وإهانتك؛ لذا قررت الانتقام منها، أنتَ منَ حرقت قلبي، لن أرحمك اليوم.

اقترب صابر وبعض الرجال للفض بينهما، سأله صابر:

- ماذا تقول؟ ماذا فعل عمارة؟
- هدد سوزي، كما أنه لطمها على وجهها، لأنها رفضته.
- حقير.

قالها وهو يسدد له اللكمات أيضاً، ارتفعت الأصوات وزادت اللكمات، هرول أحد المحتجزين نحو الباب ليستدعي العساكر لفض الاشتباك؛

فكل من عمارة وتامر يخنقان بعضهما البعض، وكل منهما يرفض ترك الآخر..

أسرع أحد العساكر إلى مكتب آسر ليخبره بما يحدث داخل غرفة الحجز، بينما دلف باقي العساكر لفض الاشتباك..

- ماذا هناك يا أمين أحمد؟
- يوجد اشتباك بين المتهمين في قتل الفنانة داخل غرفة الحجز.
- فُكْ الاشتباك، وأحضرهم إلى هنا.

قالها محمد..

- أمرك سيدي.

قالها الأمين، ثم انصرف مسرعا لتنفيذ الأمر، بينما آسر يتابع ما يحدث في صمت، اقترب فؤاد ليسأله:

- ما كل هذا الهدوء؟ هل ستتركهم يقتلون بعضهم البعض؟
- لن يقتل أحدٌ الآخر، كل ما يحدث الآن هو تفريغ لغضبهم.

نظر كل من محمد وفؤاد له دون فهم، ليردف قائلاً:

- سوف أخبركما بما حدث بالأمس، عندما ذهبت مع تامر إلى شقته وجد كل ما يخصه مع سوزي اختفى، وهذا آثار غضبه، والآن هو تقابل مع غريمه في حبها لذا سوف يحاول الانتقام منه.

سأله فؤاد:

- هل تظن أنه القاتل؟
- هناك شخص ظهر بالتسجيلات يشبهه لذا هو أحد المشتبه بهم.
- أعرف هذا، أنا اسألك عن حدسك الأمني..

قبل أن يجيبه دلف العسكري ومعه كل من تامر وعمارة، أمر آسر العسكري أن يصطحب تامر ليضمد جرحه ويترك عمارة، نفذ العسكري ما أُمر به

- اجلس يا عمارة.

جلس على الكرسي المقابل لمكتب آسر، بينما عيناه تدور بالغرفة خشيه أي غدر من الموجودين، اقترب محمد من خلفه واضعا يده على كتفه، فانتفض جسده:

- اهدأ. لِمَ أنت خائف هكذا؟

ازدرد ريقه ليحيب:

- لماذا قبضت عليَّ، أنا لم أفعل شيئا؟

ضحك آسر ليجيبه:

- أين كنت ليلة الحادث؟
- كنت في منزلي.
- مَن كان معك؟
- زوجتي وأطفالي.
- لكن الكاميرات الخاصة بفيلا سوزي أثبتت عكس ذلك، كما أنها أظهرتك هناك عند منتصف الليل، ماذا كنت تفعل هناك؟

صمت بضع ثوانٍ، ثم أجاب:

- لم أذهب إلى هناك، ولن أتحدث سوى في حضور المحامي الخاص بي.
- حقك، لكن المحامي سوف يحضر معك أمام النيابة وليس هنا؛ لذا من الأفضل أن تنطق قبل أن أغضب وأجعلك تعترف بأسلوبي.

قالها فؤاد، وهو يضغط على كتف عمارة، ويغرز به سنا مدببا يحمله بين أصابعه مما جعله يتأوه من الألم، نظر له آسر بغضب؛ فهو لا يحب هذا الأسلوب، وكثيرا ما تشاجر مع فؤاد بسبب عنفه ضد

المتهمين، أرخى قبضته قليلا فتنفس عمارة قليلا، ثم عاد ليجلس على الكرسي بطريقة صحيحة بعدما انكمش جسده، وكاد يسقط أرضا هروبا من فؤاد، وضع آسر أمامه كوبا من الماء مشيرا إليه أن يشربه، حمل الكوب بأنامل مرتعشة بينما كتفه يقطر دماً، ليرتشف منه قليلا..

- أنا أريد مصلحتك يا عمارة؛ فالسكوت لن يفيد موقفك، بل سيزيد من إدانتك خاصةً أننا وجدنا داخل الفيلا وبجوار الجثة محبسا يحمل اسمك واسم زوجتك.

التزم الصمت ولم ينطق، استدعى آسر العسكري ليعيده إلى غرفة الحجز؛ حتى يستعيد ذاكرته ويخبره بالحقيقة.. خرجا من غرفة المكتب معاً.

التفت آسر نحو فؤاد قائلا بنبرة حادة يملأها الغضب:

- هذا آخر تحذير لك، لقد أخبرتك سابقا أن هذا الاسلوب لا يصح استخدامه؛ نحن هنا لنحقق العدالة، ولنثبت الحقيقة وليس الزيف.
- أنا أعرف هذه الشخصيات لا تقول الحقيقة إلا بالعنف.

طلب العسكري الدخول فأوقف حديثهم..

- هناك شخص بالخارج يريد مقابلتك سيدي؟

ثم قدم له كارت التعريف الخاص به، تأمل آسر الاسم، ثم طلب من العسكري السماح له بالدخول، سأله محمد:

- مَن صاحب الكارت آسر؟
- عصام أمين الصحفي.
- وماذا يريد؟
- سوف نعرف الآن..

دلف عصام إلى المكتب؛ ليُعرّف نفسه للجميع:

- ادعى عصام أمين، أعمل صحفيا لدى جريدة الأمل.

صافحه آسر، ثم طلب منه الجلوس

- اهلا وسهلا، كيف أساعدك؟
- قبل عدة أسابيع وردني اتصال من رقم مجهول يخبرني بوجود مستندات هامة تخص قضية شائكة كنت قد نوهت عنها في عدة مقالات سابقة بطريقة مبطنة؛ لأنني لم أكن أملك أي دليل حتى حصلت على تلك المستندات التي تثبت شكوكي، بالأمس نشرت مقالا جديدا يخص هذا الموضوع إلا أنني تلقيت مكالمات تهددني بأن أوقف تلك الحملة، وألا سأخسر حياتي وحياة من أحب.
- هل يوجد لك أعداء؟

- لا.
- أين تلك الأرقام؟
- إنها أرقام خاصة.
- لا داعي للقلق؛ سوف نعمل على معرفة مَن يهددك.
- أشكرك.

خرج عصام واتجه إلى مقر الجريدة، ليجد مفاجأة في انتظاره.

*****

الفصل الثامن

ما إن وصل عصام إلى الجريدة حتي وجد الكثير من الهمس والفوضى على غير العادة، اقترب من زميل له يسأله:

- ماذا يحدث هنا؟ ما كل هذه الفوضى؟
- لقد حدث الكثير، بالأمس تم تعيين رئيس تحرير جديد للجريدة، والآن يطلب الجميع لاجتماع طارئ.
- ما هذا التخريف؟ أين ذهب السيد مرزوق؟
- لا أعرف، نصيحة مني عليك تحضير ملف كامل عن مقالاتك، وما تنوي نشره خلال الفترة القادمة.
- ولمَ هذا؟

- إنها أوامر رئيس التحرير الجديد.
- لابد من مقابلة السيد مرزوق أولا.

تركه عصام، واتجه مباشرة إلى منزل السيد مرزوق.. لم يختلف الوضع كثيرا داخل منزل السيد مرزوق؛ فزوجته وأولاده يستمعون لصراخه ويتقبلون غضبه على أمل أن تمر هذه الأزمة ويهدأ، دلفت زوجته إلى غرفة المكتب لتعيد ترتيب الكتب التي تحولت من غضبه إلى ضحايا سكنت أرضيتها الرخامية، رنَّ جرس الباب مرتين، أتى صوت مرزوق صارخا بغضب:

- الباب..

أجابته ابنته:

- إنه الأستاذ عصام أمين يطلب مقابلتك
- دعيه يدخل.

تقدم عصام باتجاه الصوت بعدما أشارت اليه ابنة مرزوق أنه داخل الحديقة ثم اختفت، جلس مرزوق بجوار نباتاته الخضراء يجتث الحشائش الضارة التي تضرها:

- صباح الخير أستاذ مرزوق.

رمقه بنظرة حارقة مجيبا:

- أين الخير؟ أين العدل في هذا الصباح؟
- ماذا حدث أستاذي؟
- تم الاستغناء عني بسببك.

صُعق عصام عندما سمع ما قاله مرزوق:

- بسببي أنا!
- بالتأكيد، بالأمس وردني اتصال برفع مقالتك، وإلا سوف أندم، عليك الحرص من القادم، فأنت القادم لا محالة.

ضحك عصام ليجيبه:

- لقد تم تهديدي فعليا، أنا لا أهتم لحياتي؛ فكل ما يشغل بالي هو والدي.
- عليك حمايته؛ فمن يهددك ليس بالشخص السهل.
- أعلم هذا لذا تقدمت اليوم بطلب للحماية من الشرطة.
- عليك توخي الحذر، ولا تأمن لأي شخص، فصديق الأمس من السهل جدا أن يصبح عدو الغد.
- بالتأكيد، أتمنى أن تسامحني.

ضمه مرزوق إلى صدره:

- أنت بمثابة ابن لي، مهما غضب الأب يظل دائما يهتم لأمر أولاده.
- أشكرك سيدي على كل ما قدمته لي، وما علمتني إياه.

تركه عصام عائدا إلى مقر الجريدة لمقابلة رئيس التحرير الجديد.

لم يختلف الوضع كثيرا فمازال رئيس التحرير الجديد يتابع اجتماعه مع الصحفيين:

- أستاذ عصام، رئيس التحرير يريدك.
- حاضر.

جمع عصام ملف مقالاته ليقدمها لرئيس التحرير، داخل مكتب رئيس التحرير وجد عصام رجلا في أواخر الخمسينات، زحف شعره للخلف عدة سنتيميترات، رمادي اللون، يرتدي نظارات طبية.

قدم له عصام الملف الذي يحتوي على مقالاته الجديدة إلا أن السيد هشام محمود رفض مقالاته، واتهمه بقلة الموضوعية وعدم الشفافية:

- ما هذه الاتهامات سيدي؟ كل هذه المقالات معتمدة على مستندات حقيقة والسيد مرزوق قرأها بنفسه وتأكيد ذلك.

هبَّ هشام بغضب:

- السيد مرزوق فُصل، وتلك المستندات لا تمت للحقيقة بصلة، وهذا قراري النهائي.

أنهى كلماته ملقيا الملف الخاص بعصام أرضا لتتناثر الأوراق من داخله، جمع عصام أوراقه، وغادر مكتب رئيس التحرير وبداخله بركان ثائر، دلف لمكتبه وكل ما بداخله قرار واحد وهو البعد عن هذه البيئة الملوثة، خط استقالته وقام بتقديمها لرئيس التحرير الجديد، ثم غادر وهو ينوي البحث عن جريدة جديدة للعمل بها، عاد إلى منزله على أمل الحصول على قسط من الراحة إلا أنه وجد مفاجأة في انتظاره.

وجد المنزل منقلباً رأسا على عقب، ووالده مشجوج الرأس يحاول أحد الجيران مداواته هرول عصام نحوه، وهو يسأل كل مَن يقابله:

- ماذا حدث؟
- هجم على منزلك بعض اللصوص وقاموا بمهاجمة والدك.

جلس تحت قدم والده يسأله:

- هل أنت بخير؟ سامحني أبي، أنا السبب فيما حدث لك.

مس والده على رأسه ليطمئنه:

- قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.
- ونعم بالله.

- ما حدث لي مكتوب عند الله فلا تحمل نفسك ذنبا ليس لك يد فيه، عليك متابعة عملك.
- عن أي عمل تتحدث؟ لقد تركت الجريدة اليوم، رئيس التحرير الجديد رفض نشر مقالاتي، من الواضح أنها لاقت رفض الكبار وسببت لهم العديد من المشاكل.
- عش الدبابير خطر يا بني؛ عليك الحرص أثناء التعامل معهم وإلا ستدفع حياتك مقابل كشف أسرارهم.

*****

عادت فاطمة من المشفى بعدما أخبرها الطبيب أن ما حدث لوالدها بسبب ارتفاع نسبة السكر في الدم، وأنه الآن تحت الملاحظة، وسوف يخرج في الغد.. تركت والدتها معه، ثم عادت للاطمئنان على أطفالها وشقيقتيها، سألتها ابتسام:

- كيف حال والدي الآن؟ وأين هو؟ وأين والدتي؟
- هو بخير الآن، الطبيب أخبرني أن ما حدث سببه ارتفاع نسبة السكر.
- لكن والدى لم يشتكِ يوما من السكر.

- هذا ما حدث، مؤكد أن الأحداث التي مرَّ بها هي السبب في ذلك، أخبريني هل وجدتِ أي دليل عن ذلك الشاب الذي أخبرتني عنه؟

قبل أن تجيبها ابتسام سمعت صوت أنَّات آتية من غرفة شقيقتها، فدلفتا إلى الغرفة لتجدا أمل استعادت وعيها من جديد، احتضنتها ابتسام، وهي تبكي:

- حمدا لله على سلامتك، لقد خفت عليكِ كثيراً.

ضمَّتها بوهن، وهي تسألها:

- ماذا حدث لي؟
- أنتِ فاقدة للوعي منذ يومين.

اقتربت فاطمة منها بعيون تطلق نارا:

- أخبريني الآن باسمه قبل أن أقتلك.
- مَن تقصدين؟

لكزتها ابتسام بخفة لتخبرها بصوت خافت:

- فاطمة تعلم بأمر الطفل.

ازدردت ريقها بصعوبة، لتجيب بصوت يكاد يُسمع:

- خالد تزوجني، وكنا سوف نخبر الجميع.

انهالت عليها فاطمة بالضرب، وهي تصرخ:

- عن أي زواج تتحدثين، الزواج إشهار، وليس سرقة في الخفاء.

خرجت حروفها من بين دموعها:

- أعرف أنني مخطئة، لكنني أحبه.
- أريد عنوانه، رقم هاتفه، لابد أن يصحح خطأه قبل أن ينكشف حملك.

أخبرتها أمل بحقيقة خالد، ومَن هو والده:

- سوف أتصل به لنضع حلا لهذا الأمر.

حاولت فاطمة الاتصال بالرقم عدة مرات، إلا أنه كان خارج نطاق الخدمة.

في نفس اللحظة، وعلى مقهي الحي، كان الأستاذ عدلي المحامي يخبر المعلم حسني صاحب المقهى بما حدث بين عمارة وتامر في الحجز، وأنه – عمارة – سيظل داخل القسم عدة أيام، فما كان من المعلم حسني إلا أن أمر فتى المقهى بالذهاب لفاطمة؛ ليخبرها بما حدث.

******

أمام منزل آسر، وقف شاب في منتصف العمر يرتدي سروالا زيتيا، وقميصا لونه بيج، وقبعة بنفس لون السروال.. تقدم الشاب يسأل البواب عن رقم شقة السيدة ريم:

- السيدة ريم غير موجودة، ماذا تريد؟
- يوجد طرد باسم السيدة ريم، ولابد أن تستلمه يدا بيد، عندما تصل إلى المنزل سلم لها هذا الايصال؛ لكي تحضر لمقر الشركة، وتستلم الطرد الخاص بها.

استلم منه البواب الإيصال، بعدها غادر الشاب ومعه الطرد إلى مقر الشركة الخاصة بالتوصيل.

****

اجتمع أهل ريم مع والدة آسر لمساعدتها على الخروج من المشفى استعدادا للعودة لمنزلها؛ فآسر مشغول بسبب قضاياه، ولن يستطيع القدوم لاصطحابها للمنزل، تمنت والدة آسر أخذ ريم وطفلها إلى منزلها؛ للاهتمام بهما؛ وتتمتع بقرب حفيدها؛ فمنذ قدومه بدَّل ألوان حياتها، وأعاد لها الأمل في الحياة من جديد بعدما فقدته منذ وفاة ابنها الصغير، إلا أن والدة ريم طلبت منها أن تصطحب هي ريم وابنها لترعاهما؛ فهي الأحق برعاية ابنتها وطفلها، وبمجرد أن تستعيد صحتها

سوف ترسلهما لمنزلها بالتأكيد، وافقت والدة آسر على مضض، لكن ليس بيدها حيلة، ضمَّت حفيدها لصدرها بقوة لتبقي رائحته بين ذراعيها على أمل بالاجتماع به عن قريب..

حاولت ريم إقناع والدتها بأن تتركها تعود لمنزلها، لكنها رفضت، وقامت بالاتصال بآسر تستأذن منه أن تصطحب ابنتها لمنزلها؛ حتى تستعيد قوتها.. وافق آسر ووعدها بزيارتها كل يوم، وبعد انتهاء قضيته سوف يعودا مع طفلهما إلى منزلهما.

****

الفصل التاسع.

داخل قصر الألفي اتجه أنور نحو غرفة فايز، وهو يحمل بيده مظروفا كبيرا مدونا عليه من الخارج اسم معمل تحاليل شهير، لم تكن ملامحه

هادئة كعادته، بل كانت ملبدة بالحزن، عيناه تسكنها الدموع، وكأنها ستمطر خلال لحظات، طرق الباب ثلاثا، ثم دلف إلى الداخل لإيقاظ فايز، لكنه وجد فراشه مرتبا لم يمسسه جسد، دار بعينيه داخل الغرفة بحثا عن فايز فوجده يقف أمام النافذة يتطلع إلى الفراغ أمامه ببال شارد، يزفر دخان سيجاره الكوبي مشكلا أمام عينيه دوائر، لم يشعر بأنور ولا وجوده؛ فقد كان عقله محملا بالعديد من الأسرار.. تقدم أنور يُربت على كتفه قائلاً:

- نتائج التحاليل الخاصة بك، وصلت منذ قليل.

لم يلتفت إليه، بل أجابه وهو بنفس حالة الجمود التي كان عليها قبل دخوله:

- كم تبقى لديَّ من وقت؟

سقطت دموع أنور تلقائياً متحررة من محبسها:

- لا تقل هذا، فالطب تقدم كثيرا هذه الأيام، دعنا نسافر إلى الخارج ثانيةً، ومن المؤكد أن هناك أطباء متخصصين في حالتك، وسوف يقومون برعايتك جيدا حتى تتماثل للشفاء.

ضحك فايز قائلا، وهو يتألم:

- هل تظن أنني لم أحاول سابقاً، لقد قالها لي الطبيب أثناء رحلتي الأخيرة.
- ماذا قال لك؟
- أخبرني أنني وصلت إلى المرحلة النهائية، وأن المرض تمكن مني، واحتل أغلب خلايا جسدي.

صُعق أنور عندما سمع هذا، فأكمل فايز:

- لا يغرك ثباتي ووقوفي هكذا، فأنا أحيا على المسكنات القوية؛ حتى لا يلحظ أحد مرضي، وإلا ستكون نهايتي على أيديهم ضربا بالنار مثل خيل الحكومة.
- اعتزل، دعك من كل هذا وسافر للبحث عن علاج، لا تفقد الأمل.
- لن أستطيع، هذه الشبكة لها أذرع في كافة أنحاء العالم، ولا تسمح لأي شخص بالاعتزال مهما أقسم لهم على الولاء وإبقاء أسرارها محفوظة.
- كيف هذا؟ لابد من وجود حل يرضي جميع الأطراف.
- الحل الوحيد هو وجود بديل لك من صلبك.
- دعني أحمل هذا العبء عنك لتتمكن من السفر والحصول على العلاج.

سقطت دموع فايز، ليكمل:

- أنت رفيقي يا أنور، وأنا أعاملك مثل أخي، لكنهم لن يقبلوا بك.
- لماذا إذا؟
- لأنك لستَ من دمي.

أكمل، ودموعه تنهمر من عينيه:

- مع سباق الزمن والبحث عن المال نسيت نفسي، تخليت عمَّن أحبوني؛ لأنني ظننت أنهم سيكونون عقبة في طريقي أو نقطة ضعف يستغلها أعدائي ضدي، عشت وحيدا كالطير أتنقل بين الزهور، أستمتع برحيقهم، ثم أبتعد لأستمتع برحيق زهرة أخرى، أظن ما يحدث لي الآن بسبب دعائهنَّ عليَّ.

نظر له أنور بتعجب، ليسأله:

- لا أفهم ماذا تقصد من قولك هذا؟

أزاح دموعه بكف يده ليخبره:

- سوف أخبرك؛ لعل بوحي يزيح ذلك الحمل عن كاهلي؛ وأنعم ببعض الراحة؛ قبل عشرين عاماً أو أكثر عندما كنت شاباً تعرفت على فتاة أحبتني، وتمنت فقط حبي ورضائي، كانت تفهمني دون أن أتحدث، في أحد الأيام أخبرتني أنها تحمل بأحشائها طفلا من

دمي، حينها ثُرت وغضبت، ثم خيَّرتها إما أن تتخلص من ذلك الجنين وتستمر معي، أو تبتعد به، وأنني لن أعترف به مهما حاولت، حاولت إثنائي عن هذا القرار، ركعت تُقبل يدي وقدمي أن أسجل فقط الجنين باسمي، وبعدها سوف تأخذه وتختفي، لكنني رفضت أيضا هذا الاختيار، لم تجد أملا في إقناعي لذا هربت، وتركت لي رسالة مكتوبة بدموع عينيها تخبرني فيها أنها أحبتني، ولن تستطيع التخلي عن قطعة مني.. شعرت حينها أن جبلا أزيح عن صدري، انغمست داخل مافيا العمل؛ لتزداد قوتي ونفوذي أكثر وأكثر، بعد عدة سنوات تزوجت من زوجتي الأولى، كانت أخت شريك لي، كنت أظنها كباقي النساء تتمنى العيش وإنجاب الأطفال وتربيتهم، لكنها كانت ترفض الفكرة نهائيا؛ خوفاً من إفساد قوامها الذي يعتبر رأس مالها؛ لأنها عارضة أزياء، بعد عامين من المشاكل انفصلنا، بحثت عن زوجة أخرى؛ لأكمل الشكل الاجتماعي، لكنني لم أحصل منها أيضا على أمنيتي، سافرنا معا للخارج لمناقشة أفضل أطباء النساء وهناك طلب الطبيب تحاليل منها ومني، وعندما قمنا بعملها صدمني الطبيب أنني عاجز عن الإنجاب..

اندهش أنور وسأله:

- كيف؟ هل صديقتك الأولى كانت تخونك؟

أجابه فايز:

- ألم أقل لك أنه ذنبها، الطبيب أخبرني أن شرب الكحوليات بكميات كبيرة وحقن تضخيم العضلات التي اعتمدت عليها كليا؛ لأحصل على جسد جذاب يلفت الأنظار هما السبب في عدم قدرتي على ذلك.

ربَّت أنور على كتفه قائلا:

- كيف تحملت كل هذا العبء وحدك طوال تلك السنوات؟
- إنها لعنتي، وعليَّ تحملها وحدي.
- لماذا لم تبحث عن طفلك الحقيقي إذا؟
- بحثت كثيرا عنه، لكن كان أشبه بالبحث عن إبره داخل كومة من القش.
- دع حملك على الله، سوف نبحث عنه وعن والدته حتى نجدهما وتجتمع بهما.

وقف فايز ينظر للفراغ ثانية، وبجانبه أنور الذي هَام في ماضيه المظلم هو أيضاً.

****

داخل منزل عثمان، وبالأخص في غرفة أمل دلفت ابتسام، وهي تحمل بين يديها صينيه وضعت عليها طعاما وكوبا من العصير الطازج لشقيقتها:

- عليكِ إنهاء هذا الطعام كله؛ لكي تتحسن حالتكِ سريعاً؛ فوالدك سوف يخرج اليوم من المشفى وعليكِ استقباله.

أزاحت يدها بعيدا:

- لا أريد أي شيء، دعيني أموت؛ لكي أرتاح ويرتاح الجميع من وجودي.
- ما هذا الهراء الذي تتفوهين به؟ أظن أنكِ بحاجة لطبيب نفسي.

ظلت أمل تضرب بطنها بكلتا يديها، وهي تصرخ، حتى سقطت الدماء من بين ساقيها بغزارة، صرخت ابتسام مستنجدة بفاطمة، أسرعت لتجدها تنزف ساعدتها على تبديل ملابسها؛ لاصطحابها إلى الطبيبة الموجودة بالحي المجاور، بينما طلبت من ابتسام تنظيف الغرفة ومسح الدماء لحين عودتهما، نفذت ابتسام ما طلبته منها شقيقتها، بينما ذهبت فاطمة وأمل للطبيبة التي أخبرتها بفقدان الجنين، حمدت فاطمة ربها في سرها؛ فقد ستر شقيقتها من ظهور هذه الفضيحة، قامت الطبيبة

بتنظيف الرحم وإعطائها المضادات الحيوية وبعض الأدوية التي ستساعدها على التماثل والشفاء.

شكرتها فاطمة، ثم غادرت مع شقيقتها، وصل عثمان إلى منزله مع زوجته بعدما كتب له الطبيب الدواء الخاص بحالته.

****

عاد خالد إلى الجامعة لمتابعة دراسته على أمل أن يجد ضالته التي فقدها منذ شهر، بحث بعينيه عنها في كافة أنحاء الجامعة، وأماكن جلوسها، لكنه لم يجدها، سأل صديقتها الوحيدة وكاتمة أسرارها ضحى عنها:

- كيف حالكِ ضحى؟ هل رأيتِ أمل اليوم؟

نظرت له ضحى بتعجب لتجيبه:

- أمل مختفية منذ شهر، وعندما ذهبت للسؤال عنها أخبرتني شقيقتها أنها مريضة.

شحب وجهه؛ خوفا عندما سمع خبر مرضها، سأل ضحى مجدداً:

- أين عنوانها؟ أريد الذهاب إليها للاطمئنان على حالها.
- لن تستطيع الذهاب إلى منزلها.

- لماذا؟
- أمل تسكن أحد الأحياء الشعبية، وذهابك إلى هناك سوف يسبب لها العديد من المشاكل، عليك الانتظار لحين عودتها للجامعة.
- لن أستطيع.
- ما رأيكٌ إذا أن تتصل بها بالهاتف؟
- هاتفها مغلق؛ فمنذ عودتي من السفر، وأنا أحاول التواصل معها، لكن بلا فائدة.
- أظن وفاة شقيقتها سبب اختفائها.

نظر لها خالد برجاء ليطلب منها:

- أريد منك الذهاب إليها للاطمئنان عليها وإعطائها هذا الهاتف حتى أستطيع التواصل معها.

وافقت ضحى، وذهبت إليها للاطمئنان عليها، لكنها وجدتها نائمة، سألت ابتسام عن حالتها:

- أمل حالتها سيئة، فاطمة عرفت بشأن زواجها من خالد والأسوأ أنها فقدت جنينها اليوم.

صُعقت ضحى عندما علمت بأمر الجنين:

- جنين.. ماذا تقولين؟

- هذه هي الحقيقة، أمل كانت تحمل جنينا في بطنها، واليوم فقدته.
- خالد يريد الاطمئنان عليها.
- أين هو؟ أمل بحثت عنه كثيراً؛ لتخبره بأمرها؛ لكنه اختفى.
- اليوم أتى إلى الجامعة؛ ليبحث عنها، وأخبرني أنه كان بالخارج وعاد منذ يومين.

أخرجت ضحى من حقيبة يدها الهاتف الذي أعطاه لها خالد:

- هذا الهاتف لأمل؛ حتى يستطيع خالد الاطمئنان عليها.
- حسناً، سوف أعطيه لها.

غادرت ضحى منزل أمل لتجد خالد ينتظرها على أول الحي، انتفض جسدها عندما وجدته أمامها:

- ما الذي تفعله هنا؟
- كيف حال أمل؟ هل رأيتها؟

أخبرته ضحى بكل ما حدث، وعن أمر حملها وفقدانها للجنين صباح اليوم، سقطت دموعه:

- أريد رؤيتها يا ضحى، فأنا فعلا أحبها.
- غدا سوف أذهب إليها ثانيةً.

عاد خالد إلى منزله بقلب مكلوم يتمنى فقط الاطمئنان على أمل، ولكن كيف سيطمئن عليها؛ لذا قرر أن يطلب من والده أن يتقدم لطلب يدها والزواج منها.

بحث خالد عن والده داخل أرجاء الفيلا، لكنه لم يجده، سأل أحد العاملين بالفيلا:

- أين أبي؟
- ماهر بيه ذهب إلى المكتب.

تركه ثم صعد إلى غرفة والدته ليخبرها بما يريد، لكنها كانت منشغله بعالمها الخاص مع سيدات المجتمع والنادي الذي تقضي به أغلب يومها؛ فقد كانت تستعد للمغادرة أوقفها خالد:

- أريدكِ في أمرٍ هام.

نظرت له وهي تُعد حقيبتها الرياضة:

- لاحقا يا خالد؛ فأنا لديَّ موعد هام الآن، إن أردت مالا سوف تجده داخل درج والدك، خذ ما يكفيك.

قالتها، ثم غادرت دون أن تسمع منه شيئا آخر، لم يجد أحدا يسمعه أو يساعده سوى مربيته، ذهب إلى غرفتها وعيناه تترقرقان بالدموع، مسدت

على رأسه بحنان وهي تردد بعض الآيات القرآنية، هتف من بين دموعه:

- لا أعرف لمَ يعاملني الجميع هكذا؟! فأنا بالنسبة لهم غرض يتباهون به وقت الحاجة، لا أحد يشعر بي، مشاعري ورغباتي لا يهتم بها أحد.
- لمَ تقول هذا؟؛ والديك يحبانك كثيرا.
- الحب اهتمام، وليس مالا فقط.
- أزح ما يقلقك، وتحدث معي؛ علك تجد عندي ما يخفف عنك حيرتك.

وضع رأسه على فخذها، ليكمل:

- لطالما شعرت معكِ بالراحة، حنانكِ وعطفكِ الدائم يجعلني أشعر أنكِ أمي.

ما إن سمعت هذه الكلمة حتى قبَّلت رأسه:

- أنت ابن قلبي، ما الذي يحزنك هكذا؟
- سوف أخبركِ، أنا أحب فتاة معي بالجامعة، لكن والدي لن يقبل بها زوجة لابنه، وأنا أحبها فعلا، ولن أقبل أن أتخلى عنها مهما حدث.

- طالما فتاة طيبة ومن عائلة والدك سوف يقبل؛ فسعادتك الأهم بالنسبة له.
- لن يوافق؛ لأنها من عائلة بسيطة؛ تسكن داخل حي شعبي؛ وأنتِ تعرفين ماهر بك المال والمظاهر الأهم عنده من أي شيء آخر.
- إذا أخبر والدتك وهي تقنعه.
- لن تقبل هي الأخرى؛ فسيدة المجتمع الراقي لن تقبل بفتاة مثل أمل لتكون زوجة لابنها.
- هل تحبها فعلا؟
- أنا أعشقها، لا أستطيع العيش بدونها؛ فهي الهواء بالنسبة لي.
- إذا دافع عن حبك، وحاول إقناع الجميع بتقبلها، أخبرهم بمدى حبك لها، لا تدعها تندم أنها أحبتك في يوم ما.
- سوف أفعل ذلك.

غادر خالد غرفتها بعدما شعر ببعض الراحة لسماعها شكواه، أغلقت الباب وراءه جيدا، ثم أخرجت من تحت وسادتها صورة لا تفارقها أبداً قبلتها، وضمَّتها إلى صدرها، وهي تردد:

- لقد اشتقت إليك كثيراً.

******

داخل سرايا النيابة أمر وكيل النيابة بالإفراج عن كل من تامر وصابر؛ لعدم وجود أدلة تدينهما، بينما أمر بحبس عمارة أربعة أيام على ذمة التحقيق مع مراعاة التجديد في الميعاد.

وصل الخبر إلى فاطمة التي كانت تنتظر أمام سرايا النيابة، فظلت تلطم خديها على حبس زوجها، تنفس فؤاد بأريحية بعدما سمع هذا القرار، شعر أن القضية انتهت، اقترب محمد من آسر ليهنئه، لكنه كان عابس الوجه، فسأله:

- لِمَ هذا العبوس؟ من المفترض أن تكون سعيدا؛ لأنك وجدت القاتل؛ وأنهيت القضية.
- إحساسي يخبرني أنه ليس القاتل، كما أن أداة الجريمة حتى الآن مفقودة.

رد عليه فؤاد:

- لقد اعترف أنه ذهب إلى سوزي ليلة الحادث، كما أننا وجدنا خاتما يحمل اسمه داخل غرفة القتيلة وبجوار الجثة، والكاميرات أثبتت وجوده هناك ودخوله متخفيا إلى الفيلا.
- لكنه لم يعترف أنه القاتل.

- الاعتراف سوف يأتي لا محالة، كلما ضاق عليه الخناق لن يجد سبيلا أمامه سوى الاعتراف.

رد محمد:

- لكن القانون لا يعترف بالإحساس؛ هو يعترف فقط بالأدلة؛ وكل الأدلة تدينه حتى الآن.
- وظيفتي هي البحث عن الحقيقة، ولن أهدأ حتى أجد القاتل الحقيقي.

تركهم فؤاد، وغادر بينما محمد نصح آسر بالراحة والحصول على قسط كافٍ من النوم؛ حتى يستطيع التفكير جيداً.. تركه آسر ثم ذهب إلى منزل حماه للاطمئنان على زوجته وابنه، وما إن رأته ريم حتى سألته:

- ما الذي تخفيه؟ هل أنت مريض؟ أم هناك شيء يقلقك؟

حاول إخفاء الأمر عنها وإقناعها أن كل هذا مجرد إرهاق من العمل، لكنها لم تصدقه، بل ضمَّت وجهه بين كفيها، وطلبت منه أن ينظر في عينيها ويخبرها الحقيقة وما يخفيه، رفع عينيه ليقابل عينيها:

- أشعر أن القاتل الحقيقي لازال حرا طليقا، يسخر مني.
- لمَ تقول هذا؟ ألم تخبرني أنك ألقيت القبض على عمارة، وأن الكاميرات سجلت وجوده داخل الفيلا وقت وقوع الحادث؟

- أعلم كل هذا، ولكنني أشعر أنه برئ، فقط كان هناك في الوقت الخطأ.
- أنا أثق بحدسك، اذهب إلى الفيلا مرة أخرى، ومن المؤكد أنك سوف تجد هناك ما يساعدك على إثبات الحقيقة.
- سأفعل ذلك.

قبَّل رأسها، ثم غادر إلى منزله وبداخله إصرار على استمرار التحقيق والقبض على القاتل الحقيقي، ما إن وصل إلى منزله حتى وجد بواب العمارة يستقبله:

- آسر بيه..
- نعم يا عم أيوب.
- اليوم وصل طرد باسم السيدة ريم، لكن موظف التوصيل رفض تسليمه لي، وترك عنوان الشركة، وطلب مني إخبار السيدة ريم بضرورة الذهاب إلى الشركة لاستلام الطرد.

شكره آسر، ثم صعد إلى شقته، وهو يفكر ترى ماذا يوجد بهذا الطرد؟ ومَن الذي أرسله؟

****

ظل رجال فايز يبحثون كثيرا عن نرجس، كما طلب منهم رئيسهم، لكن بلا فائدة؛ فمنزلها مغلق كما هاتفها وهي مختفية، لكنهم لم ييأسوا، بل تفرقوا للبحث عنها في عدة أماكن؛ علهم يجدونها بأحد العناوين التي أخبرهم بها فايز..

جلست نرجس تنتظر شريكها؛ لإحضار خط الهاتف لإكمال خطتهما، ما إن وصل حتى استخدمت شريحة الهاتف الجديدة للاتصال بفايز الألفي:

- فايز بيه، توجد أوراق تحت يدي تدينك.
- مَن المتصل؟
- هويتي لا تخصك، عليك دفع مليون جنية للحصول على هذه الأوراق، وإلا سوف أقوم بتسليم هذه الملفات إلى الشرطة، وأخبرهم بمَن قتل سوزي.

أنهى المكالمة قبل أن يتحدث فايز؛ على الجانب الآخر استشاط فايز غضبا من هذه المكالمة؛ فقد تأكد أن هذه الأوراق تحت يد نرجس، وعليه التخلص منها فوراً حتى وإن كان المتصل رجلا.

*****

داخل قصر عزام رنَّ هاتفه برسالة كُتب فيها (انتهت قضية سوزي، بقي العثور على سلاح الجريمة، وهذا ما سيتم قريباً)، ما إن قرأها حتى رسمت على وجهه ابتسامة خلاَّبة لفتت نظر هنادي التي كانت تقف أمام المرآة تعدل هندامها، وترتب خصلاتها الثائرة، فسألته:

- ترى مَن صاحب هذه الرسالة؟ وما بداخلها حتى ترسم السعادة على وجهك هكذا؟

اقترب يزيح خصلات شعرها، ليُقبل عنقها، قائلا:

- قضية سوزي انتهت.

التفتت تلف ذراعيها حول عنقه، لتسأله:

- هل تمَّ القبضُ على القاتل؟

ضحك، وهو يجيبها:

- عمارة زوج شقيقتها مَن قتلها.

نظرت له بتعجب، قائلة:

- مستحيل، سوزي أخبرتني أكثر من مرة أنه كان يحبها، وأنه كان يتوسل إليها أن تقبل حبه وتقبله، وأنه على استعداد أن يترك كل شيء خلفه فقط ليصبح بجانبها.

غمز لها، وهو يكمل قائلا:

- ومِن الحب ما قتل، ثم إن القانون له الأدلة، والأدلة تدينه.

حاولت مقاطعته، لكنه أسكتها بإبهامه، وهو يستطرد بحزم:

- يكفي هذا، علينا الانتهاء من الصفقة الجديدة؛ فالباشا بالخارج مستاء بسبب توقف العمل.
- لا داعي للقلق؛ فأنا جهزت شحنة جديدة سوف ترضيه كثيراً.
- هل أخبرتهن بطبيعة العمل؟

ضحكت هنادي، وهي تجيبه:

- أنا لديَّ أسلوبي الخاص في العمل، لقد قمت بإنشاء فرقة استعراضية، وتقدم لها العديد والعديد من الفتيات، كل حلمهن فقط السفر والمال، وكل الأوراق قانونية، وبعد السفر لن يجدن سوى خيارين فقط، إما طاعه الأوامر أو..
- يعجبني تفكيرك الشيطاني.
- تلميذتك.

أرسل عزام إيميلا لجده يخبره أن الأمور في تحسن، وقريباً سوف تصل إليه الدفعة الجديدة.

****

جلس عصام داخل غرفته مع أحد أصدقائه المبرمجين (ياسر)؛ ليساعده في اختراق حسابات عزام وشركائه؛ أملا في الوصول إلى معلومات تفيده في تحقيقه الصحفي؛ فبرغم فصله من جريدة الأمل إلا أنه لن يتوقف عن النشر.. لحظات وصرخ بعدها صديقه فرحا، وهو من بعده عندما استطاع اختراق إيميل عزام، اقترب من الحاسب الخاص به ليقرأ تلك الرسائل فوجد رسالة عزام لجده، أمسك قلمه ليخط العنوان الجديد لمقاله

(مافيا تجارة الرقيق) حية جديدة تبدل جلدها كل فترة وأخرى؛ حتى تستطيع الفتك ببناتنا، مرض يتفشى بيننا ليقضي على زهورنا، حرب جديدة نخوضها أملا في الفوز والنجاة من تلك الشرور.

سجل أولى كلمات مقالته الجديدة، بينما جلس ياسر صديقة لإكمال مهمته، استطاع ياسر التجسس على حساباتهم وهواتفهم:

- عليك الحرص وإخبار الشرطة بكل هذه المعلومات قبل نشرها، وإلا ستكون عرضة للخطر أكيد.
- وظيفتي عنوانها الخطر منذ البداية؛ فهي وظيفة البحث عن المشاكل.

قالها وهو يضحك.

(الفصل العاشر)

وصل رجال فايز إلى عنوان والد نرجس الذي أخبرهم به فايز، صعد إلى الأعلى ثلاثة رجال، بينما انتظر بالأسفل باقي الرجال، لم يطرق أيٌّ منهم الباب، بل فتح أحدهم الباب بخفة، انتفض جسدها عندما رأت أحد رجال فايز أمامها؛ فهي تعرفه من قبل، حاولت الصراخ أو طلب النجدة إلا أنه كمم فمها، بينما انقض زميله على متولي الذي حاول القفز من الشباك المجاور له، إلا أنه أعاق تحركه فلم يستطع الفرار، قام الرجال بتخديرهما، ثم حملاهما إلى أحد المخازن المهجورة..

جلست نرجس ومتولي معصوبي العينين، كان جسدها يرتجف كلما سمعت صوتا بجوارها، علا بوق سيارة من الخارج فُتح على إثره باب المخزن الضخم، رحَّب الرجال بصاحب السيارة الذي أمر برفع الغطاء عن أعينهما، ما إن رأته نرجس حتى ازدردت ريقها، ظلت تتوسل له أن يرحمهما، ضحك فايز:

- الآن تتوسلين أن أرحمك، وبالأمس كنتِ تبتزينني!

حاولت نرجس الدفاع عن نفسها وإنكار ذلك، إلا أن فايز قاطعها آمراً:

- لا تحاولي؛ فحيلتك وتوسلاتك لن تجدي نفعا.

زحف متولي عند قدميه لكي يستعطفه قائلا:

- سامحني أرجوك؛ فأنا لم أفعل إلا ما أمرتني بفعله، وأقنعتني أننا في أمان، أرجوك اتركني أعود إلى زوجتي وأولادي؛ فهم بحاجة إليَّ كما أن والديَّ ليس لهما عائل غيري، هي المذنبة، هي مَن طلبت مني الاتصال بك، كما أنها أعطتني نسخة من الأوراق قدمتها للصحفي مقابل عشرة آلاف من الجنيهات.

صرخت نرجس:

- لا تصدقه، هو كاذب.

ثم نظرت لمتولي بتحذير:

- اخرس، لا تتحدث أكثر.

لم يستمع لها متولي، بل أقسم لفايز أنها كاذبة:

- صدقني فايز بك، هي مَن خدعتني حتى وقعت في شباكها، ادعت الحب ورسمته لأساعدها على تشتيت انتباه حارس الفيلا ليلة الحادث، حتى تستطيع الدخول وسرقة مجوهرات الفنانة

سوزي، هي مَن قامت بتعطيل كاميرات المراقبة الخاصة بالفيلا واحتفظت بها.

رد عليه فايز:

- إذا هي مَن قتلت سوزي.
- لا لم أقتلها، أقسم لك لم أقتلها؛ عندما دخلت إلى الفيلا كانت لفظت أنفاسها.
- الشرطة هي التي ستحدد إن كنتِ القاتلة أم لا؟ كما أنها سوف تحدد مصير متولى.

توسل إليه متولي:

- أرجوك فايز بك لا تخبر الشرطة، إن أبلغتها سوف أفقد عملي وعائلتي وأطفالي، مَن سيقبل أن يتزوج شقيقتي بعدما أصبح مجرما خلف القضبان؟ أرجوك سامحني؛ فأنا لم أفعل شيئا، أرجوك سوف أفعل كل ما تطلبه مني، فقط اتركني أعود لعائلتي.

نظر نحوه فايز، بينما يقبل هو قدمه:

- هل أن متأكد أنك على استعداد أن تفعل أي شيء؟
- بالتأكيد، أهم شيء لا تخبر الشرطة.
- أخبرني إذا، أين تلك الأوراق؟

- داخل شقة والد نرجس؛ فهي تحتفظ بها هناك.
- حسنا سوف أسامحك، لكن بشرط واحد.

قبَّل قدميه ثم أكمل:

- كل شروطك مجابة.
- اقتل نرجس، واحضر الأوراق، إن فعلت ذلك سوف أسامحك.

جحظت عينا نرجس عندما سمعت ذلك، حاولت الصراخ إلا أن رجال فايز كمموا فمها جيدا، ثم حرروا متولي الذي قام بنحر عنقها من الخلف، وهي تحاول الخلاص والفرار من قبضته.

أمر فايز رجاله بالذهاب مع متولي لإحضار الأوراق والتخلص من جثة نرجس..

عاد فايز إلى قصره ليخبر ماهر أن مَن كان يهددهم انتهى أمره، فاتصل بهاتفه عدة مرات إلا أنه في كل مرة كان يجده خارج نطاق الخدمة، اتصل على رقم مكتبه فأخبرته السكرتيرة أنه غادر المكتب، اتصل على رقم قصره آتاه صوت أنثوي من الجهة الأخرى جعل قلبه يسقط أرضاً:

- ألو.. ألو.. مَن المتصل؟

دام صمته، لم تحصل منه على إجابة لذا أغلقت الهاتف، أقترب منه أنور ليسأله:

- ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟

نظر له بوجه غامض وعيون حائرة تخفي بعض الدموع:

- يجب أن أذهب حالاً.
- تذهب إلى أين؟
- سوف أخبرك عندما أتأكد من ظنوني.

حمل مفاتيح سيارته، وغادر مسرعاً نحو فيلا صفوان، وصل إلى هناك ليتأكد مع كل خطوة، كان يشعر أن قلبه سيتوقف فقط لشعوره أنه سوف يقابلها بعد كل هذه المدة، فصوتها يحفظه عن ظهر قلب، مهما فرق بينهما الزمان لن يستطيع نسيانه، رنَّ جرس الباب، وانتظر أن يتأكد، لحظات فتحت بعدها الباب سيدة تبلغ من العمر أربعين عاماً حنطية البشرة، عيناها بندقية، شعرها أسود فحمي، اختل توازنه عندما وقعت عيناه عليها، لم تتبدل ملامحها برغم مرور الزمن، حاولت قفل الباب والاختباء إلا أنه أوقفها عندما نطق حروف اسمها:

- فريدة، أين كنتِ طوال هذه السنوات؛ لقد بحثت عنكِ كثيراً، لم أصدق أذنيَّ عندما سمعت صوتك.

نظرت حولها لتتأكد من خلو المكان لتخبره:

- لن أستطيع التحدث هنا، قابلني بالحديقة التي توجد خلف الفيلا.

وافق فايز بعدما وعدته أنها ستحضر خلفه، شعر أن الدقائق تحولت إلى ساعات، ظل يتلفت حوله حتى وجدها تتقدم نحوه، هرول مسرعا نحوها ممسكا يدها ليتأكد من وجودها فعلياً:

- أين كنتِ طوال تلك السنوات؟ أين طفلنا؟ هل رُزقتِ بفتى أم فتاة؟ هل يشبهني؟ أم أنها فتاة وتشبهك؟ أعلم أنني أخطأت في حقك، سامحيني..

قابلت كلماته بصمت، جعله يتوسل إليها:

- أرجوكِ، جاوبي على سؤالي..

نظرت إليه بعينين تغمرهما الدموع:

- بعد أن تركتك بحثت كثيرا عن مكان أسكنه ومصدر للدخل أعيل به نفسي وطفلي، إلا أن جميع الأبواب أُغلقت في وجهي؛ فقط لأنني لم أقبل بعروضهم؛ فالجميع ظن أنني سهلة المنال، سوف أقبل ببيع جسدي فقط لأجل المال، سكنت أحد الفنادق البسيطة بالمال الذي كنت أملكه لكن بعد انتهائه طُردت منه، خارت قواي، وكدت أفقد حياتي من قلة الطعام، كنت أبحث عنه بين سلال

القمامة كما القطط والكلاب، حتى قابلت السيدة ميلا زوجة السيد ماهر في أحد الأيام عندما حاولت التخلص من حياتي أمام سيارتها، أشفقت على حالي بعدما قصصت عليها قصتي كلها

بهتت ملامحه عندما أخبرته أنها أخبرتها بقصتها:

- لا تخف؛ فأنا لم أذكر اسمك، تعاطفت وقتها مع قصتي، وعرضت عليَّ عرضا لم أستطع رفضه وقتها.
- ما هو هذا العرض؟
- أن ألد جنيني وأنسبه لها مقابل أن ترعاه وتمنحه حياة رائعة يستحقها.
- هل قبلتِ هذا العرض؟
- لا تنظر إليَّ هكذا، ماذا كنت سأفعل وأنا وحدي بلا مال، ولا أهل، وأنت رفضت منحه اسمك، كما رفضت وجودنا بحياتك، لم يكن أمامي أي خيار سوى أن أقبل بعرضها، وإن كان المقابل بعدي عنه.
- هل ماهر يعرف بهذا الاتفاق؟
- لا، حينها السيد ماهر كان مسافرا إلى الخارج لإنهاء قضية هامة، وقتها اتصلت به السيدة ميلا وأخبرته بأمر حملها، سعد كثيرا ولم يشك يوما في الأمر؛ لأنها أخبرته بعد سفره بشهر واحد

فقط، عندما وضعت جنيني أخذته وسجلته باسمها، وساعدها على ذلك نفوذها وأموالها..

- هذا يعني أن خالد..

بكت وهي تجيبه:

- نعم خالد هو ابنك أنت.
- أين هو؟ أريد مقابلته؟ أريد ضمه، سوف أخبره بالحقيقة فوراً.
- عن أي حقيقة تتحدث؟ هل تريد تدميره؟ اتركه يعيش كما عاش طوال هذه السنوات، ثم إن السيد ماهر والسيدة ميلا يحسنان معاملته وأنا بجانبه، لا تجعله يكرهني، لا تدمر مستقبله؛ فهو يريد الارتباط والزواج، ماذا سيفعل إن عرف كل هذا؟ من المؤكد أنه لن يحتمل هذا الخبر.
- لكن..
- لا يوجد سبيل للاعتراض الآن؛ فأنت مَن قرر منذ البداية التخلي عنه وعني.

أنهت فريدة كلماتها، ثم غادرت عائدة إلى القصر قبل أن يلاحظ أحد غيابها.. أغرقت الدموع وجهها فذلك الجرح الذي ظنت أنه اندمل منذ سنوات فُتح اليوم من جديد ليغرقها بصديد يشوي جسدها وروحها.

عاد فايز إلى قصره مثقل الكاهل بكل ما عرفه من أخبار، فاليوم الذي ظن أنه سيحصد فيه السعادة لأنه سمع صوت فريدة لم يجنِ فيه سوى الشوك والعذاب، لم ينتبه لمَن يحدثه من العاملين داخل القصر؛ فعقله كان بعالم آخر نسجه وتمنى أن يعيش بداخله ولو للحظات، لكن..

قطع أنور شروده، وهو يربت على كتفه، ليسأله:

- أين كنت؟ وماذا حدث؟

ارتمى بين أحضان رفيقه، وهو يبكي كما لم يبكِ من قبل:

- ماذا حدث، أنا لم أرك في مثل هذه الحالة من قبل؟ هل أنت بخير؟
- لقد وجدتها..
- مَن التي وجدتها؟ هل تقصد تلك الفتاة التي أخبرتني عنها من قبل؟
- أجل هي..
- أين وجدتها؟ أين طفلك؟
- لن تصدق، طوال تلك المدة وهي تعمل عند ماهر صفوان، وأنا لا أعرف.
- أين طفلك؟

- هذا ما يؤلمني، فأنا قابلته ولم أعرفه.
- مَن هو إذن؟ هل يشبهك؟
- خالد
- خالد من؟!
- خالد ماهر صفوان.

صُعق أنور عندما سمع ذلك

- كيف حدث هذا؟ وهل ماهر يعرف بذلك الأمر؟
- لا، فريدة أخبرتني أن ميلا فقط هي مَن تعرف بقصتها.
- هل تعرف أنك والد خالد الحقيقي؟
- لا، فريدة لم تخبرها باسمي.
- هل أخبرت فريدة بمرضك؟
- لا، لم أستطع أن أخبرها؛ خشيت عليها ذلك الألم؛ فأنا أحبها حقاً.
- ما العمل إذاً، هل ستسلم بالأمر الواقع، وتترك ابنك؟!
- لا أعرف، من الظاهر أن العيش وحيدا بعيدا عنهما هو جزائي على رفضي لهما منذ البداية، فأن أخبرت خالد الحقيقة سوف يتدمر مستقبله كما أن ماهر سوف يقتل ميلا وفريدة ومن المحتمل خالد أيضا، يجب أن أرضى بهذا القدر اللعين واتقبل بعدهما.

دعا له أنور بالراحة، وأن يهديه الله للتصرف الصحيح.

.....

****

استيقظ آسر على صوت رنين هاتفه ليجد رقم وكيل النيابة المسؤول عن قضية مقتل سوزي

- صباح الخير آسر بك.
- صباح الخير أيمن بك، كيف حالك؟
- نحمد الله، أريدك أن تمر عليَّ في سرايا النيابة لأمرٍ هام.
- حالاً مسافة الطريق.

أنهى آسر المكالمة؛ ليستعد لمقابلة وكيل النيابة.. بعد ساعة وصل إليه ليجد أمرا موقعا منه بتفتيش منزل عمارة، استعد آسر للخروج مع الحملة للتفتيش، وطلب من محمد مرافقته إلا أنه أخبره بوجود بلاغ عن وجود جثة لفتاة منحور عنقها، خرج آسر وفؤاد وقوة من القسم لتفتيش منزل عمارة وورشته..

علا صراخ فاطمة ولطمها:

- كفى ظلماً، زوجي لم يفعل شيئا، زوجي برئ لم يقتلها.
- دعينا ننهي عملنا، إن كان زوجك بريئا فدعينا نتأكد بأنفسنا.

أمر رجاله بالانتشار داخل الشقة وتفتيشها جيدا، وقف يتابع الموقف من بعيد، خرج بعض الرجال ليخبروا آسر بعدم وجود شيء، خرج فؤاد من داخل غرفة النوم ومعه منديل صغير ملفوف بإحكام، أخبر آسر أنه وجده خلف خزينة الملابس، فتح آسر المنديل ليجد بداخله مسدس صغير وضعه داخل كيس شفَّاف، وأمر بأرساله للمعمل الجنائي للتأكد من أن هذا السلاح هو سلاح الجريمة.

.....

****

وصل وكيل النيابة وفريق من المباحث بقيادة محمد إلى مسرح الجريمة ليجد أمامه مفاجأة، كانت الجثة لنرجس، عاين وكيل النيابة مسرح الجريمة، ثم أمر بنقل الجثة إلى المشرحة وإجراء كافة التحقيقات اللازمة.. أمر محمد رجاله بالبحث عن كاميرات المراقبة وجمع معلومات عن نرجس، وهل يوجد أي عداوة بينها وبين أحد.

تحقق محمد من الكاميرات الموجودة في مكان الحادث، لكنها لم تظهر أي شيء، اتجه إلى عنوان نرجس المسجل عنده في التحقيقات لإجراء التحريات وسؤال الجيران، لكن الكل أجمع على عدم وجود أي عداوة بينها وبين أي شخص آخر، رجَّح محمد أن يكون القتل سببه السرقة أو أن شخصا ما حاول الاعتداء عليها وبعد ذلك قتلها، أمر رجاله بالبحث علَّهم يجدون دليلا يرشدهم للقاتل الحقيقي، عاد بعد التحقيق إلى القسم لإنهاء المحضر الأولي.. سأله آسر عن الحادث، فأخبره بكل شيء، ثم سأله:

- ماذا حدث أثناء التفتيش؟ هل وُجد سلاح الجريمة؟
- وجدنا سلاحا، وقمت بإرساله للمعمل الجنائي للتأكد من أنه السلاح المستخدم في الجريمة.

سأله محمد:

- لِمَ ملامحك مضطربة هكذا؟ هل لازال لديك إحساس أن عمارة برئ بعدما وجدت سلاح الجريمة داخل شقته.
- لا هناك موضوع يشغل بالي فقط، سوف أغادر الآن؛ تذكرت مشوارا هاما.

غادر آسر مكتبه متجهاً إلى شركة الشحن الذي أعطاه عنوانها بواب عمارته للسؤال عن الطرد الخاص بزوجته، سأل عن مكتب مدير الشركة فأشار له الساعي إلى مكان المكتب، دقَّ الباب ثلاثا، ثم دلف للداخل معرفاً نفسه للمدير الذي رحَّب به:

- أهلا وسهلا بحضرتك، تحت أمرك، كيف أساعدك؟
- يوجد طرد باسم زوجتي أريد استلامه.
- أعتذر من حضرتك، صاحب الطرد فقط مَن يستطيع استلامه إنها قوانين الشركة.
- لكن زوجتي لديها ظروف خاصة، ولن تستطيع القدوم بنفسها، إن أردت فهذه بطاقتها الشخصية وهذه بطاقتي لكي تتأكد.
- أنا لا أشكك بك سيد آسر، لكنها قوانين لا أستطيع تغييرها، لكن يوجد حل وسط يرضي سيادتك.
- ما هو هذا الحل؟
- سوف أرسل أحد موظفي الشركة مع حضرتك لتسليم الطرد للمدام.

وافق آسر على هذا الحل؛ فكل ما يهمه هو الطرد؛ فحسه الأمني يخبره أن هناك خطبا هاما، شكر مدير الشركة، ثم اصطحب معه الموظف لتسليم الطرد، وصل إلى بيت حماه، وطلب من الموظف انتظاره حتى يحضر زوجته، أخبر ريم بشأن الطرد وشكوكه تجاهه، خرجت ريم

للموظف، وقدمت له بطاقتها الشخصية، ثم وقعت على إيصال الاستلام، واستلمت الطرد، شكرت الموظف على تعاونه، ثم غادر، حملت الطرد بين يديها تقلبه يميناً ويساراً لمعرفة مرسله أو محتواه، لكن بلا فائدة..

فتحت ريم الطرد لتجد بداخله خطابا، مجموعة من حسابات البنوك، بعض الصور والأسماء وأسطوانة، فتحت ريم الخطاب لتدمع عيناها، سألها آسر:

- مَن أرسل هذا الخطاب؟

- سوزي..

جمع آسر محتويات الطرد، ثم غادر منزل حماه، بعدما طلب من زوجته الاهتمام بنفسها وطفلهما، أنهى بعض المكالمات، ثم اتصل بمحمد وفؤاد وطلب منهما الحضور إلى منزله لأمرٍ هام، وصل كل منهما إلى منزل آسر، ما إن رآه محمد سأله:

- ماذا حدث؟ وما هو هذا الأمر الهام؟

- لا داعي للقلق، لقد أردت فقط الاحتفال معكما.

سأله فؤاد:

- ما سبب الاحتفال؟

- نحتفل بانتهاء قضية سوزي.
- هل أكد المعمل الجنائي أن السلاح الذي تم العثور عليه هو سلاح الجريمة؟
- أجل.

ضحك ثلاثتهم، وقاموا بتهنئة بعضهم البعض على حل قضية أخرى، ومن المؤكد سوف يتم ترقيتهم على إثرها..

سأل آسر فؤاد:

- لماذا فعلت هذا؟

نظر له بعدم فهم، وسأله:

- ماذا فعلت؟ أنا لا أفهم شيئا.
- سوف أوضح سؤالي، لماذا طلبت من اللواء محسن ضمك إلى فريق التحقيق الخاص بالقضية؟

بهتت ملامح فؤاد، إلا أنه حاول أن يظهر ثباته مجيباً:

- لا يوجد سبب محدد، تمنيت فقط أن أعمل معك، وأتعلم منك؛ فأنت ضابط كفء؛ والجميع يشهد بذكائك وكفاءتك.

سأله محمد بحيرة:

- ماذا حدث، أنا لا أفهم شيئا؟

ضحك آسر، ثم سأل فؤاد مجدداً:

- هل ستجيب عن سؤال محمد؟ أم أجيبه أنا؟

جمع فؤاد أغراضه بغضب وهمَّ بالمغادرة:

- سوف أتركك ترتاح، من المؤكد أن أعصابك مضطربة.

سأله آسر:

- كيف حال منى؟ هل عادت من السفر؟

انتفخت أوداجه عندما سمع سؤاله، التفت نحوه بعصبية ليجيبه:

- كيف عرفت هذا الاسم؟ مَن أخبرك به؟

نظر محمد لكليهما بعدم فهم، وسألهما:

- مَن منى؟ ولماذا غضب فؤاد هكذا؟

أجابه آسر، وهو يعيد ظهره للخلف:

- منى هي شقيقة فؤاد.

سأله محمد:

- هل لديك شقيقات؟ لطالما عرفت أنك وحيد.

أكمل آسر:

- هي شقيقته من الأب فقط، والده بعدما تركه هو ووالدته تزوج من أخرى، وأنجب منها منى وفرح.

زاد غضب فؤاد:

- من أين لك بتلك المعلومات؟

ضحك آسر، وهو يجيب:

- هل تظن أنك الضابط الوحيد هنا؟ أنا أيضا ضابط وجمع التحريات وظيفتي.

سأله محمد:

- لحظة واحدة، ما دخل شقيقته بكل هذا؟

أكمل آسر:

- سوف أخبرك الآن بكافة التفاصيل، منى هي شقيقة فؤاد من والده، تمنت أن تصبح عارضة أزياء، ثم تتجه إلى الإعلانات والتمثيل كما فعلت العديد من الممثلات، تعرفت على سوزي سالم بأحد الأستديوهات، وطدت علاقتها بها على أمل أن تساعدها وتقوم بترشيحها لأحد المخرجين، وهذا ما قامت به سوزي بالفعل، فرحت

منى كثيراً، وظنت أنها أخيراً ستحقق حلمها، إلا أن هذا الطريق كان مفروشا بالأشواك الذي فقدت فيه...

قاطعه فؤاد صارخاً، وهو يمسكه من تلابيبه:

- كفى، كلمة أخري زيادة عنها سوف أقتلك.

أكمل آسر، وهو ينزل يده عنه:

- كما قتلت سوزي!

صُعق محمد عندما سمع ما قاله آسر، لينطق متعجباً:

- قتل سوزي!
- للأسف.. أقدم لك القاتل الحقيقي في هذه القضية السيد فؤاد أحمد.

لكمه فؤاد في وجهه، وهو يصرخ:

- نعم لقد قتلتها، لكن لا يوجد أي دليل يثبت أقوالك.

مسح آسر قطرات الدم التي سقطت على جانب فمه إثر اللكمة ليكمل:

- معك كل الحق؛ لقد خططت جيداً لإبعاد الشبهات عنك؛ فكل دليل أو خيط يشير إليك كنت تخفيه كما فعلت عندما أخبرني تامر بأمر رقم الشريحة التي قام شخص منها بتهديد سوزي، حينها

قمت بإرسال بعض الرجال لإخفاء ذلك الدليل؛ حتى لا يدان والدك والأكثر من ذلك أنك تعاونت مع من هتك عرض شقيقتك، ولوَّث شرفك مقابل مبلغ مادي كبير حول على حساب خارجي باسم شقيقتك منى التي سافرت مع والدها للعلاج من الصدمة النفسية التي تعرضت لها عندما قام عزام بإرسال شريط فيديو لها، وقام بابتزازها..

- كل ما تقوله ليس له إثبات.
- في البداية فقط كنت لا أملك دليلا، لكن الآن أنا أملك كافة الأدلة التي تدينك، لقد نسيت أن أخبرك أن سوزي قبل وفاتها أرسلت لريم طردا أخبرتها فيه الحقيقة كلها، وأن هناك شخصا يهددها من رقم أرسلته كما أرسلت فيديو وصور لبنات قام عزام بابتزازهن، ومن بين تلك الأسماء اسم شقيقتك، كما أنها اعترفت أن ما فعله عزام كان دون علمها، وعندما علمت بكل ما يحدث من خلفها اعترضت وقررت إبلاغ الشرطة، فتم تهديدها بالقتل، وكان التهديد عن طريقك أنت ووالدك، وهذا مقابل مبلغ مالي وشريط الفيديو الخاص بأختك.

- هذه المعلومات خاطئة، كما أن هاتفي أمامك تستطيع تتبع شريحتي ومكالماتي، لن تجد ما يثبت ادعاءك، قضيتك خاسرة آسر بك.

ضحك آسر، وهو يصفق له بشدة:

- حقاً أنت رائع، لكن هناك هفوة سقطت منك، سوزي أرسلت رقم الشريحة التي هددتها، وعند الكشف عن اسم صاحب الشريحة ثبت أنها باسم شقيقتك، كما أن الرسائل التي كنت ترسلها إلى عزام ورده عليك معي نسخة منها.

زاغت عيناه عندما أنهى آسر كلماته، شعر أن الهواء يتقلص من حوله، ليكمل آسر:

- لقد نسيت أن أخبرك أن عصام أمين بمساعدة مبرمج استطاعا أن يخترقا حسابات عزام وهاتفه، وحصلا على سجل مكالماته ورسائله، وكل هذا بعلمي طبعا، وبأمر من وكيل النيابة، ومن ضمن هذه الرسائل رسالتك التي أخبرته فيها أن دليل إدانة عمارة سوف يظهر للنور قريباً، وهذا مقابل مبلغ مالي تم تحويله على حساب شقيقتك، أنت الوحيد الذي عثرت على سلاح الجريمة داخل شقة عمارة برغم أن الأمين فاروق فتَّش الغرفة قبلك، ولم

يجد شيئا، كما أن تفريغ كاميرات المراقبة كان عن طريقك حينها قمت برشوة الفني الخاص بالتسجيلات لحذف الجزء الذي يدينك، وعندما قام بابتزازك لأخذ مبلغ مالي أكبر وإلا سيخبرني الحقيقة قمت بقتله، ظننت أن الأمر انتهى، لكنه لم يكن يطمئن لك فأخبر زميله إن حدث له أي شيء يسلم لي مظروفا، وعندما فتحته وجدت به التسجيل الحقيقي واعتراف منه بما فعله بناءً على أوامرك.

رفع فؤاد سلاحه في وجه آسر، ثم أمر محمد أن يقيضه:

- اليوم سوف أنهي تلك القضية، سوف أقتلك وأحرق الشقة كل الأدلة سوف تدمر، لن أضحي بمستقبلي، لقد قمت بقتل سوزي، وقبلت العمل مع عزام ورجاله فقط للحفاظ على سمعتي، ولن أدعك تفسدها اليوم.

حاول محمد تهدئته، وطلب منه أن يخفض سلاحه ليتحدثا إلا أنه أطلق عيارا بالقرب من قدم محمد محذرا إياه:

- أي خطوة أو فعل متهور منك سوف تلاقي نفس مصيره، آسر عرف الكثير، ولابد من قتله.

ضحك آسر بصوت مرتفع، وهو يقول: الآن.

وما إن تفوه بكلمته الوحيدة حتى انطلقت رصاصة من خلف آسر، وأصابت يد فؤاد الممسكة بالسلاح، ليسقط منه المسدس، ليظهر بعدها أيمن بيه وكيل النيابة من الغرفة الموجودة خلف آسر، ومعه قوة كبيرة من رجال الشرطة الذين أحاطوا بفؤاد إحاطة السوار بالمعصم..

- فؤاد أحمد زيدان.. أنت مقبوض عليك بعدة تهم، أولهم قتل الفنانة سوزي سالم، وإخفاء بعض الأدلة لتضليل العدالة، والعديد من الجرائم الأخرى، وسوف أخبرك بها في سرايا النيابة.

تراجع فؤاد للخلف، وقد تجسم الهلع في أبشع صوره فوق وجهه التي جفت منه الدماء، وتقلصت ملامحه بشكل غريب، وسط دموعه التي انهمرت بغزاره، وراحت تغرق خديه:

- لأاااااااا

تمت بحمد الله